دور طريقة الكاهنة في هجرة قبائل الازد قبل الإسلام

.....

أ.م.د. جنان احمد عبدالعزيز

جامعة سامراء / كلية التربية / قسم التاريخ

الملخص

تناولت الدراسة شخصية من ابرز الشخصيات العربية اليمنية المعروفة والمؤثرة قبل الاسلام ، فقد شاركت هذه الشخصية قومها في صنع الاحداث التاريخية الجسيمة ، وكان لها حضورها المميز والفاعل والمؤثر في مجمل الاحداث الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية التي مرت بها حركة المجتمع العربي اليمني لاسيما دورها في هجرة قبائل الازد وتوجيههم الوجهة السليمة التي مكنتهم من تسنم مصادر القيادة والسلطة في العديد من بلاد العرب خارج الجزيرة العربية وداخلها كالشام والعراق وعمان واليمن والحجاز وغيرها ، مما اكسبها ثقة قومها فنالت شهرة واسعة وتمتعت بمكانة مرموقة ونفوذ واسع مكنها من تصدر الريادة فيهم منذ القدم ، ولعل هذه الشخصية العربية هي طريفة الكاهنة التي لم تحظ باهتمام الباحثين ولم تعن بدراسة اكاديمية مستقلة ؛ لذا آثرت اختيارها موضوعا لدراستي وتناولتها بالدراسة ، فجاءت دراستي معنونة بـ (دور طريفة الكاهنة في هجرة قبائل الأزد قبل الاسلام) وبعد جمع المادة العلمية قسمتها على ثلاثة مباحث تسبقها هذه المقدمة وتتلوها الخاتمة ، والله تعالى الموفق.

The Role Of Tarifa Priestess In The Migration Of Alazd Tribes Before Islam

D.R. Jinan Ahmed Abd Ulazeez

Abstract

The study deals with one of the most prominent Yemeni Arab figures known and influential before Islam, this character participated its people in making serious historical events, It has had a distinguished presence and effective and influential in the overall social, religious, political and economic events experienced by the movement of the Arab Yemeni society, especially its role in the migration of tribes Al-Uzd and guide them the right destination, which enabled them to seize the sources of leadership and power in many Arab countries outside and within the Arabian Peninsula, such as Sham, Iraq, Oman, Yemen and Hijaz And others, Which earned her the confidence of her people won wide fame and take a prestigious position and wide influence that enabled her to lead in them since ancient times, Perhaps this Arab figure is Tarifa of priestess, which did not receive the attention of researchers and did not care for an independent academic study; So I decide to choose the topic of my study and addressed, so my study entitled (The role of Tarifa of priestess in the migration of tribes Al-Uzd before Islam) After the collection of scientific article divided by three chapters preceded by this introduction and followed by the conclusion, and Allah Almighty conciliator.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: يزخر مورثنا العربي القديم بكنوز تثير اهتمام الباحثين،وتحثهم على العناية بها، وتقديمها إلى ابناء هذه الامة بصورة قريبة من الواقع ، وربما تأتي دراسة الشخصيات العربية التاريخية ضمن اطار هذا الفهم والواعي للدور الكبير الذي جسدته تلك الشخصيات في صنعها للأحداث التاريخية المهمة على مختلف الصعد،وما قدمته من ابداعات من خلال تفاعلها مع الواقع العربي ، لذا شكلت هذه الشخصيات مادة خصبة لدارسة حياة العرب الفكرية والاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية قبل الاسلام.

هذا وربما تعد طريفة الكاهنة من ابرز هذه الشخصيات العربية ، التي لها حضورها المميز والفاعل والمؤثر في مجمل الاحداث الدينية والسياسية والاقتصادية التي مرت بها حركة المجتمع العربي في اليمن ،والتي لم تحظ بنصيب وافر من الدراسة والاهتمام من قبل الباحثين؛ إذ لم نعثر على دراسة اكاديمية مستقلة تعنى بها على حد علمنا؛مما حفزنا ذلك لاختيارها موضوعاً لدراستي،لذا جاءت هذه الدراسة معنونة بـ(دور طريفة الكاهنة في هجرة قبائل الازد قبل الاسلام).وبعد جمع المادة العلمية من مصادرها الأصيلة قمت بتقسيمها بحسب ما يقتضيه البحث إلى مباحث ثلاثة، تسبقها هذه المقدمة، وتتلوها خاتمة، تناولت في المبحث الأول التعريف بمفردات البحث، فترجمت لطريفة الكاهنة وأهميتها، ولقبائل الازد وموطنها، بينما تناولت في المبحث الثاني سدّ مأرب، وتاريخ انشائه، وموقعه، ومنشأته، وبعض النظريات التي تحدثت عن السد، وأما المبحث الثالث فقد كرسته لدراسة دور طريفة الكاهنة في التنبوء بانهيار السدّ، وفي هجرة قبائل الازد قبل الاسلام، وأودعت الخاتمة ابرز النتائج التي خلصت إليها الدراسة. فان كانت قد وفقت فيها سعيت اليه فذاك بفضل الله تعالى وحده، وإن كنت قد اخطأت، أو قصرت فأسأله الرَّشاد والسَّداد، فهو ولي ذلك والقادر عليه .

المبحث الأول : التعريف بمفردات البحث

قبل الخوض في غمار البحث يحسن بنا الوقوف عند مفرداته التي وردت فيه وتوضيحها وبيان أهميتها وذلك وفقاً للآتي:

أولاً : ترجمة طريفة الكاهنة وأسرتها ووفاتها

بالرغم من الشهرة العظيمة التي نالتها طريفة الكاهنة في قومها ، إلا أن المعلومات التي زودتنا بها المصادر عن حياتها الشخصية كانت ضئيلة ومضمحلة وقليلة ، لذا لم نعثر إلا على النزر القليل الذي لا يروي الغليل ولا يرتقي إلى المستوى والمكانة الاجتماعية والدينية والسياسية التي نالتها ، فكان هذا النزر هو عمادنا في هذه الترجمة ، وبناء عليه يمكن لنا اجمال ترجمتها بما يأتي:

١ـ التسمية والنسب والولادة:

أـ التسمية والنسب: هي طريفة، وقيل: ظريفة بنت الخير بن سعد الحجورية[١]، التي تنسب إلى حجور بن أسلم، وهم بطن من بطون حضرموت الكبير باليمن والعراق وبلاد الشام[٢].وطريفة الخير من أهل ردمان الحميرية[٣]، وردمان ابن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن هميسع بن حمير بن سبأ[٤].

ب ـ الولادة: لم تفصح المصادر التاريخية التي ترجمت لطريفة الكاهنة عن سنة ولادتها على وجه الدقة،وإنما نستطيع تحديد العصر الذي عاشت فيه على جهة الأجمال، وذلك بعد استقراء النصوص وتتبع الروايات الواردة بشأن حداثة انهدام سدّ مأرب وخاربه اثر سيل العرم، والذي عاصرته الكاهنة وتنبأ بانهياره وعاينت الحادثة، لذا فأنها عاشت في القرن الأول الميلادي، أو قبله على الراجح، لأن هذا العصر الذي شهد انهدام السدّ الشهير في مأرب[٥].

٢ــ الأسرة:

ذكرت المصادر العربية التاريخية القديمة أن طريفة الكاهنة كانت زوجة الملك عمرو مزيقياء[٦]، ابن عامر بن ماء السماء الازدي، وأنه قد تزوجها بأمر من أخيه الاكبر عمران الكاهن بن عامر[٧]. كما تشير المصادر والروايات إلى انها بعد زواجها انجبت لعمرو ثلاثة عشر ولداً وهم: ثعلبة (ابو الاوس والخزرج)، وحارثة (ابو خزالة)، وجفنة (والاعفان)، فضلاً عن رادعة، والحارث، وابي حارثة، وعوف، وكعب، ومالك، وعمران[٨].

وربما وقع لبعض أهل الانساب وهم في نسبتها فذكروا: بأن مارية ذات القرطين هي زوجة الملك عمرو مزيقياء؛ لذا عدوها أماً لأولاده المذكورين[٩]. والحق ان هذه النسبة خاطئة من عدة أوجه منها، ان مارية المذكورة ليست زوجة الملك عمرو مزيقياء ، وانما هي زوجة لبعض من بني سلالته فهي زوجة جبلة بن الحارث، لذا فهي أم الملك الحارث الاكبر الاعرج[١٠]، ومما يؤكد هذا الادعاء ويؤيده هو تصريح العديد من شعراء العرب قبل الاسلام بذلك، فقد اشار إلى ذلك صراحة الشاعر حسان بن ثابت حينما مدح الملك عمرو بن الحارث، فقال[١١]:

أولادُ جفنة حولَ قَبرِ أبيهم * قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المُفضَّلِ

وابن مارية الذي قصده الشاعر هو الحارث الأعرج ، وبهذا يتضح ان طريفة الكاهنة هي أُم أولاد عمرو مزيقياء وليست مارية ذي القرطين كما زعموا.

٣ــ الوفاة:

كذلك لم تذكر المصادر التي ترجمت لطريفة الكاهنة عن سنة وفاتها على جهة الجزم والقطع، وإنما ذكر الاخباريون: بأنها توفيت في ليلة الجمعة، التي ولد فيها الكاهنان شقّ وسطيح، اللذان حنكتهما واختارتهما خليفتين لها من بعدها في الكهانة[١٢]، وأنها دفنت في عقبة الجحفة[١٣]، القريبة من طريق مكة، حيث أن قبرها هناك معروف ومشهور[١٤]. ولما كانت طريفة الكاهنة مرافقة لقومها الازد في هجرتهم من تاريخ انهيار السد حتى وفاتها قرب مكة، لذا ترجح أن يكون القرن الأول الميلادي هو تاريخ وفاتها على جهة الاجمال، فهي لا تعدوه بحال من الاحوال، حيث لم يعد ذكرها في المصادر العربية القديمة وارداً بعد ذلك التاريخ.

ثانياً: التعريف بالكهانة ومكانتها:

الكهانة ظاهرة ثقافية واجتماعية ومنصب ديني وملكة قديمة معروفة عند العرب،وقد ارتبطت بحياة طريفة ودورها ارتباطاً وثيقاً لا يمكن فصله عن كيانها ووجودها، لذا يحسن بنا الوقوف على هذه الظاهرة ومعرفة ماهيتها ومكانتها عند العرب قبل الاسلام ، وذلك وفقاً للآتي:

١ـ **الكهانة في اللغة:** هي مصدر مشتق من الفعل كهن، فيقال: كَهَن الرجلُ يكَهُنُ كَهانَةً، وذلك إذا قام بأمر غيره،وسعى في حاجته[١٥]، فهو كاهن، وهو الذي يخبر عن الكوائن المستقبلية، ويدعى معرفة الأسرار ومطالعة الغيب[١٦].

٢ـ **الكهانة في الاصطلاح:** هي ضرب من ضروب التنجيم النابعة من الاستعداد الفطري الجبلي لنفوس أصحابها،والمتصلة بالآلهة والقوى الخفية،واستعلامها عن الاحوال الجزئية الحادثة والمخصوصة بالمستقبل في عالم الاكوان[١٧].

٣ـ طبيعة الكهانة ومكانتها:

تعد الكهانة من ابرز الظواهر الثقافية والفكرية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالعقائد الدينية المتمثلة بالآلهة والمعابد عند العرب قبل الاسلام ، لذا تماوهت وظائف الكاهن فيما بين معابد الآلهة وأنشطة الناس الإجتماعية،فكان يناط بهم حراسة المعابد وخدمتها ، فضلاً عن النظر في مطالع الناس وإدارة اقداح الآلهة وسهامها في بيوتها ، لذا تجلت اكثر نشاطات اولئك الكهنة في تلك الاماكن المقدسة[١٨].وربما اسبغ العرب على هؤلاء الكهان صفات التمجيد والتقديس لأنهم كانوا يعتقدون بأن الآلهة كانت تزودهم بشتى انواع المعارف وتمدهم بكل اخبار الغيب، وتطلعهم على خفايا الناس، مما خلع عليهم مهابة عظيمة في نفوس اتباعهم ، حتى غدت أقوالهم وأحكامهم شرعة مقدسة، فهم خدام الآلهة والناطقون باسمها، لذا كانت تزودهم بالمعارف وترسل التوابع التي تحمل لهم رسائل الآلهة، مما اكسبهم مكانة رفيعة عند العرب حتى عدهم البعض في سلك الربوبية ، وهذا ما فعله بنو اسد مع كاهنهم عمرو بن ربيعة[١٩].ولعل هذه الجدلية في العلاقة مع الكاهن تفسر لنا ظاهرة انتشارها في

المجتمع العربي قبل الاسلام، لذا لم تكن تخلوا أي قبيلة من قبائلهم من كاهن أو أكثر. فهم حكامها وساداتها الذين يفزعون اليهم في مخاصماتهم وملماتهم[٢٠]، وإلى هذا المعنى اشار الشاعر أحيحة بن الجلاح الاوسي ، فقال[٢١]:

فهلْ مِنْ كاهنٍ أوْ ذِي إلهٍ * إذا مَا حانَ مِنْ ربٍّ أَفولُ

لقد اضطلع الكهان بوظائف عديدة عند العرب قبل الاسلام، فقد أسند إليهم مهمة الفصل في الخصومات والمنافرات ، كما اسند اليهم قيادة الجيوش في المعارك والحروب ، فضلاً عن المشورة وقراءة المستقبل،ولعل في موروثنا العربي القديم العديد من الامثلة التي جرت فيها استشارتهم قبل الحملات العسكرية والغزوات الحربية،ففي الحروب التي دارت بين ملك العرب حِجر الكندي والد الشاعر امرؤ القيس وبني اسد كان الدور الذي مارسه الكاهن الأسدي عمرو بن ربيعة حاسماً، حيث كشف مسبقاً عن مصير هذه المعركة وتنبئا بنتائجها وأعلن انتصار قبيلته ومقتل حجر قبل بدئها، لذا نال شهرة واسعة سمت به إلى مرتبة الربوبية عندهم[٢٢]. ولعل بعضاً من هؤلاء الكهان العرب قد تميزوا بقدرات عجيبة ومهارات فائقة اكسبتهم شهرة واسعة تخطت حدود قبائلهم، حتى كانوا مقصداً لجميع قبائل العرب، التي كانت تأتيهم من اصقاع بعيدة وأماكن نائية، فقد وصف عزى سلمى، الذي تحاكم اليه عبدالمطلب وجندب بن الحارث بشأن امواله التي في الطائف[٢٣]، بأنه كان من أكهن العرب وأسجعهم[٢٤].ولعلنا لا نجانب الصواب اذا زعمنا بان الكهانة قد ارتبطت ببلاد اليمن ارتباطاً وثيقاً، حتى غدى جمهور كهانهم منها، لذا قيل:" بأن الكهانة لليمن،والزجر لبني أسد، والقيافة لبني مدلج وأحياء مضر"[٢٥]، وربما يعد الأفعى الجرهمي ـ أفعى نجران، وشق الانماري،وسطيح الذئبي،وخنافر الحميري[٢٦]،وسلمى الخزاعي،الذي تنافر اليه هاشم وأمية فنفر هاشماً[٢٧] من ابرز كهان اليمن المعروفين عند العرب قبل الاسلام،كما تعد الشعثاء[٢٨]،والزبراء الحضرمية [٢٩]، وعفيراء الحميرية[٣٠]،وشهيرة السبئية[٣١]، فضلاً عن طريفة الخير الحميرية[٣٢]،من ابرز كواهن اليمن المعروفات عند العرب قبل الاسلام. وبهذا يتضح لنا: بأن الكهانة ضرب من ضروب التنجيم، وموهبة إلهية ومنصب من المناصب الدينية المرتبطة بالكائنات العليا، التي تمنح صاحبها القدرة على التنبؤ بالأخبار المستقبلية وكشف خفايا الامور وغوامضها قبل وقوعها ، لذا اسند العرب لهم العديد من الوظائف الدينية والسياسية قبل الاسلام.

ثالثاً: التعريف بقبائل الأزد:

يعد الأزد من كبريات القبائل العربية وأشرفها بعد بني هاشم، فهم جرثومة العرب وأسد الله في الارض[٣٣]، ومن اكثر العرب بطوناً وأوفرها فروعاً وأكثرها عدداً وعدة ، وقد بلغ الأزد ذروة المجد، حتى بلغ من شأنهم أنهم وضعوا أتاوة على قريش حينما قتلت ابا زيد الدوسي، فقتلت الأزد مكانه تسعة من اشراف قريش، وجعلت لهم على انفسهم خراجاً في كل عام، وإلى هذه المعاني أشار الشاعر معقر بن حمار البارقي، فقال[٣٤]:

وَضَعْنا الخرجَ مَوظوفاً عَليهِمْ * يُؤدُّونَ الأتاوةَ صَاغِرِينَا

ولولا ذاكَ مَا عدِلَتْ قُريشٌ * شِمالاً فِي البلادِ ولا يَمِينا.

كما تميز الأزد بفصاحتهم وبلاغتهم الى جانب قريش والقبائل الأخرى ، لذا اعتمد اللسان العربي على لغتهم التي ظهرت في اقوالهم وأشعارهم،فتاريخهم حافل بالمآثر والأمجاد في الجاهلية والاسلام[٣٥]، لذا يمكننا التعريف بقبائل الأزد، وذلك وفقاً لما يأتي:

١ـ التسمية والنَّسب: تنسب قبائل الأزد جميعاً إلى الأزد بن الغوث بنت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٣٦]، والأزد لقبه، واسمه دراء بوزن(فعال)[٣٧]، وقيل: بل اسمه أُدُدْ[٣٨]، والأزد والأسد لغتان فيه،والأخيرة افصح،والأولى أكثر وأشهر،ولعل السبب في تسميته بالأسد يعود لشجاعته وصلابته ،لذا سمي بذلك تشبيهاً له بالأسد،والتعاقب بين السين والزاي في لغة العرب كثير، لذا فالأزد والأسد سواء[٣٩]،وإلى هذه المسميات والنسبة اشار الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري، فقال[٤٠]:

فان تَكُ عَنَّا مَعْشَر الاسدِ سَائِلاً * فنحنُ بَنُو الغَوثَ بن زيد بن مالكِ

لـزيـدِ كَهلاْنَ الـذيَّ نـالَ عِـــــــزُهُ * قَديماً دَرَاري النجـــــــــوّمَ الشوابكِ

٢ـ القبائل والبطون: لقد تفرع الازد إلى فروع وبطون وقبائل عديدة، لذا ذكر النسابون بأن للأزد سبعة أولاد ، تفرعت عنهم جميع قبائل الازد، وهم: (مازن، ونصر، والهنو، وعبدالله، وعمرو، وقدار، والأهيوب)[٤١].كما

ذكرت المصادر التاريخية: بأن القبائل التي تنسب إلى الازد من هؤلاء البطون السبعة قد افتقرت على نحو سبع وعشرين قبيلة ، وهم (جَفنة، وغسان، والاوس، والخزرج، وخزاعة، ومازن، وبارق، وألمع، والحجر، والعتيك، وراسب، وغامد،ووالبة، وثمالة، ولهب، وزهران، ودهمان، والحدّان، وشكر، وعَك، ودوّس، وفهم، والجهاضم، والأشاقر، والقسامل، والفراهيد)[٤٢]. كما قُسِّمتْ قبائل الازد إلى فئات كثيرة ، وذلك تبعاً للمواطن التي حلُّوا فيها بعد انهيار السدّ، وهم: أزد شنوءة، وأزد السَّراة، وأزد غسان، وأزد عُمان، وأزد الحِجر[٤٣]، وإلى بعض هذه المسميات اشار الشاعر النجاشي الحارثي، فقال[٤٤]:

وكنتُ كذِي رِجلينِ رِجلٌ صَحيحةٌ * ورِجلٌ بها رَيبٌ منَ الحَدثانِ

فأمّا التي صَحَّتْ فازدَ شنوءةٍ * وأمَّا التِّي شُلّتْ فأزدُ عُمَانِ

وفيما يأتي مخطط لشجرة نسب الازد كما اوردها ابن الكلبي في كتابه جمهرة النسب[٤٥]:

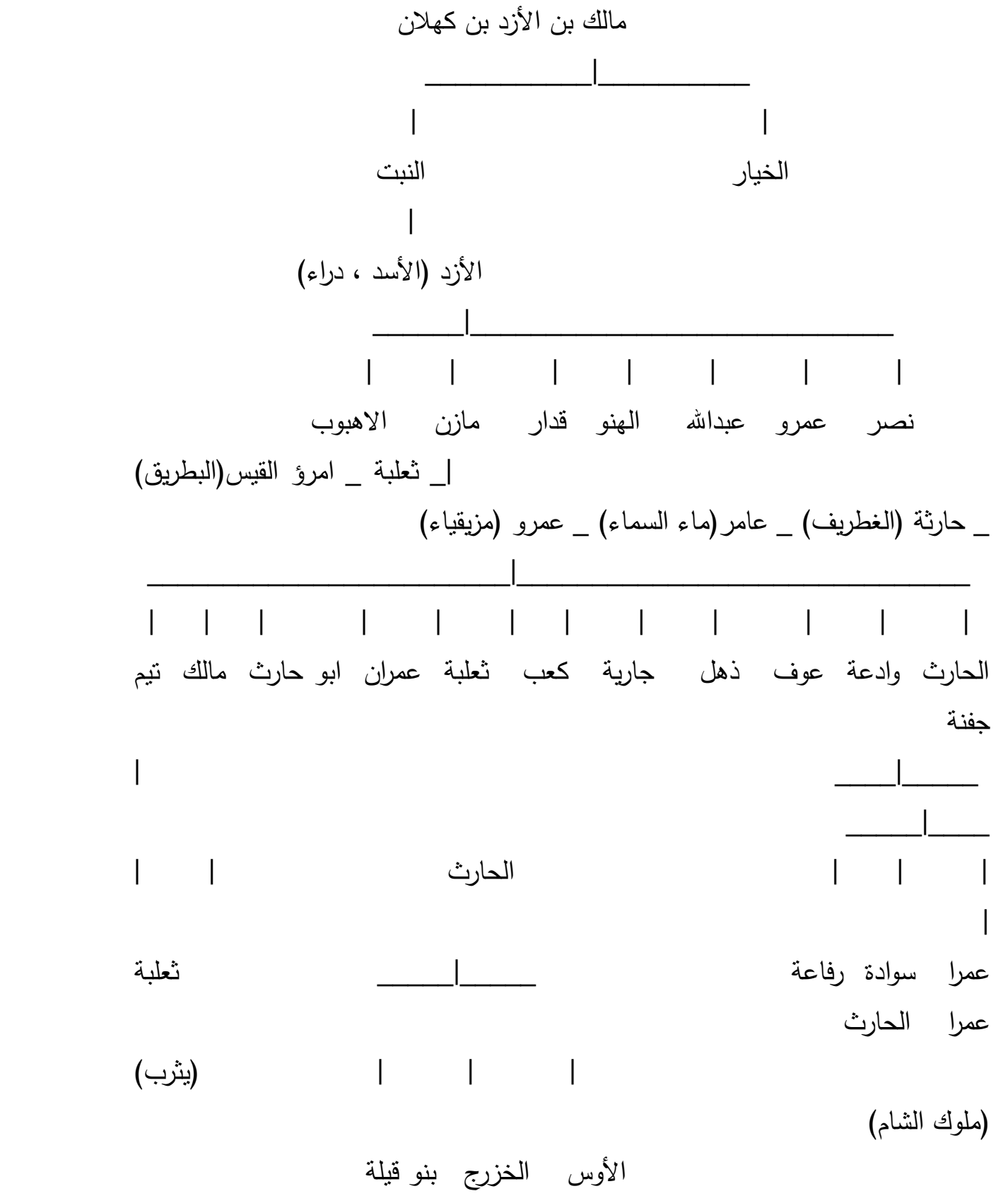
مالك بن الأزد بن كهلان
الخيار
النبت
الأزد (الأسد ، دراء)
نصر عمرو عبدالله الهنو قدار مازن الاهبوب
ثعلبة _ امرؤ القيس(البطريق)
_ حارثة (الغطريف) _ عامر(ماء السماء) _ عمرو (مزيقياء)
الحارث وادعة عوف ذهل جارية كعب ثعلبة عمران ابو حارث مالك تيم
جفنة
الحارث
عمرا سوادة رفاعة
ثعلبة
عمرا الحارث
(يثرب)
(ملوك الشام)
الأوس الخزرج بنو قيلة

٣ـ موطن الازد: تعد ارض مأرب وما حولها من بلاد اليمن من اقدم مواطن قبائل الازد، حيث كانوا يقيمون في تلك البقاع العامرة، والربوع الخضرة على ضفاف وادي سد مأرب الشهير، حتى أخصبت ارضهم وأصبحت من اكثر ربوع اليمن السعيد جناناً، وأغدقها ثماراً، وأحسنها عمراناً وأعظمها بنياناً[٤٦]،واستمر الازد على هذه الحالة من الرفاهية دهوراً طويلة،حتى دهمهم سيل العرم،وخرب السدّ،فتحولت جنانهم إلى غيطان، وأرضهم الخضراء إلى فيافي غبراء،وعمرانهم إلى خراب وأنقاض ، مما اضطرهم الى ترك اوطانهم والنزوح منها الى غيرها ، فتفرقوا في مجموعات، سكنت كل منها ارضاً من بلاد العرب، فسكن بعضهم انحاء الجزيرة العربية كعمان والبحرين وهجر والحجاز والمدينة ومكة، بينما سكن البعض الآخر بلاد الرافدين والشام، وأقاموا هناك دولاً وشيدوا ممالك عربية عريقة منذ القدم ، حيث مملكة الحيرة في العراق ، والغساسنة في الشام[٤٧].

المبحث الثاني :

سد مأرب

يزخر تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم بالعديد من السدود والحواجز والقنوات الإروائية التي تدل على مهارة العرب الفائقة في الهندسة المعمارية،لاسيما تلك التي شيدها اليمنيون في العربية السعيدة عبر العصور، وذلك للسيطرة على مياه الأمطار والسيول وتخزينها للإفادة منها في ارواء اراضيهم الشاسعة[٤٨]، لذا اشتهرت بلادهم بكثرة السدود التي اتخذت سمة مميزة لها، حتى بلغت في احد مخاليفها ـ يحصب ـ اكثر من ثمانين سداً[٤٩]، وإلى هذا المعنى أشار شاعرهم أسعد تبع، فقال[٥٠]:

على الجنةِ الخضراءِ مِنْ ارضِ يَحْصُبٍ * ثمانونَ سداً تفذفُ الماءَ سَائِلاً

وربما يعد سد مأرب من اعظم هذه السدود وأكثرها شهرة، حيث استبد بشهرة واسعة ونال مكانة مميزة من حيث البناء والترميم والانهيار ، لذا يعدّ من اكبر الاعمال الهندسية التي ميزت حضارة اليمن القديم حتى عدّ من أحدى عجائب العالم قبل الاسلام[٥١]. لقد شكل سدّ مأرب أهمية كبيرة لأبناء اليمن السعيد، حتى ارتبط مصيرهم بمصيره منذ القدم، فكان من ثمرة بنائه الرخاء والعمران الذيّ عم ربوعهم، فصيروا صحاريهم الجرداء وبقاعهم الغبراء مروجاً خضراً وحدائق غناء، جعلتهم ينعمون بأطيب العيش وأهنئه ، كما ارتبطت بانهياره كبرى النكبات والكوارث الطبيعية التي اصابتهم أثر انهياره ، حتى حولت ربوعهم الخضراء وعمرانهم الشاهقة إلى خراب ودمار، مما اضطرهم إلى ترك أوطانهم وهجرها والنزوح عنها إلى الاصقاع النائية والأماكن البعيدة، داخل الجزيرة العربية وخارجها، مشكلين اكبر موجة نزوح عرفتها جزيرة العرب عبر العصور[٥٢]. ولما كانت دراستنا تعنى بدور طريفة الكاهنة في هجرة قبائل الازد القاطنين حول ربوع هذا السدّ، لذا نرى ان المادة التي قدمتها المصادر العربية بشأن السدّ، ابتداء من تاريخ انشائه وحتى تاريخ انهياره وسقوطه، هي مادة تاريخية قيمة يحسن بنا استغلالها والإفادة منها في الوقوف على الدور الريادي الذي اضطلعت به طريفة الكاهنة قبل انهيار السدّ وبعده، ومن أجل تحقيق هذه الغاية فأننا سنجمل القول فيها، ونتناولها على النحو الآتي:

أولاً: تاريخ انشاء السدّ: تباينت آراء العلماء بشان تاريخ انشاء السدّ وبنائه قديماً وحديثاً، وكان لعلماء العرب والغرب نظرياتهم ومبرراتهم التي اعتمدوها بشأن تاريخ الانشاء والبناء، لذا كان من المستحسن الوقوف على ابرز تلك النظريات ومناقشتها وترجيح الأقرب منها للحقيقة والواقع، ولتحقيق ذلك فأننا سنتناولها تباعاً وذلك وفقاً للآتي:

١ـ النظرية العربية: تناول الاخباريون العرب مسألة بناء سدّ مأرب وتاريخ انشائهُ وبنائه منذ القدم، بيد أن وجهات نظرهم قد تباينت واختلفت بشان ذلك، فقد ذهب جمهورهم إلى القول، بأن تاريخ انشاء السدّ قديم، وأنه يعود لحقب زمنية موغلة بالقدم، بحيث ترتقي إلى عهد سبأ الاكبر ـ عبد شمس ـ بن يشجب بن يعرب الذي عاش في أواسط الألف الرابعة قبل الميلاد (٣٥٠٠-٣٤١٦ ق.م) فهو الذي شرع في بنائه ، وساق إليه سبعين وادياً من قرى مختلفة ، وجعل له ثلاثين منفذاً يخرج منها الماء، لكنه مات ولم يتمه، فأتمه بعده ملوك حمير[٥٣]، لذا قام ابنه حمير ـ ابو القبائل اليمنية قاطبة ـ والذي عاش في اواسط الالف الرابعة قبل الاسلام بتزينيه وتقويمه بأعمدة من الرخام فأتمه بعد ابيه عام (٣٤١٥-٣٣٦٦ ق.م)[٥٤]، وإلى هذا المعنى اشار الشاعر الاعشى ، فقال[٥٥]:

فَفِي ذلكَ للمُؤتَسِي أسْوةٌ * ومأربُ عَفَى عَليه العَرِمِ

رُخامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ خِمْيَرٌ * إذا جَاءَهُ ماؤُهُمْ لَمْ يَرِمِ

ثم حصل اضطراب بعد ذلك في رواية الاخباريين العرب، فذهب بعضهم إلى القول، بأن يشجب بن يعرب هو الذي بناه، لكنه لم يتمه، فأتمه بعده الملك الصعب ذو القرنين الذي عاش في منتصف الالف الثانية قبل الميلاد (١٤١٨-١٣٥٠ق.م)[٥٦]. كما ذهب آخرون إلى القول، بأن لقمان الاكبر شمس بن عاد بن الملطاط ، الذي عاش في الالف الثانية قبل الميلاد (١٧٤١-١٧٠٠ ق.م) هو الذي بناه ، وجعله فرسخاً ، وجعل له ثلاثين نقباً لتعريف المياه[٥٧]. بينما ذهب الآخرون إلى القول بأن بلقيس ملكة سبأ، التي عاصرت النبي ـ سليمان ـ عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد، هي التي بنته وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض، وبنت له من دونه بركة، وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدد أنهارهم[٥٨].

٢ـ النظرية الغربية: جاءت الدراسات الغربية بشأن تاريخ سد مأرب وبنائه في أطار رؤيتهم لتاريخ اليمن القديم، الذي يبدأ عندهم مع بداية ظهور دول وكيانات(المكارب)،والذي لا يزال الجدل فيه قائم ومحتدم في تحديد البداية الزمنية لعهودهم ،حيث ذهب بعضهم إلى تحديد بدايتها في عهد حكام سبأ المعاصرة للنبي سليمان(عليه السلام) في القرن العاشر قبل الميلاد،بينما اكتفى بعضهم الآخر بالاقتصار على عهود الحكام الذين سجلت النصوص القديمة أسماءهم ضاربين صفحاً عن عهود ما قبل معرفة الكتابة في سبأ، لذا فهم لا يذهبون بتاريخ الدولة إلى أبعد من عهد (يثع أمر) الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، والذي ذكرته نصوص سرجون الثاني ملك آشور عام(٧١٥-٧١٤ ق.م)[٥٩]. ففي ذلك الإطار التاريخي أعاد أولئك المؤرخون الغربيون كل الآثار والنقوش والمعالم المتصلة بتاريخ اليمن القديم، بما فيها النقوش المتعلقة بسد مأرب إلى تلك الحقبة من الزمن، وانطلاقاً من تلك النظرية الغربية فقد ساد لدى الكثير منهم الاعتقاد بأن بناء سد مأرب قد تمّ على مراحل،حتى اتخذ شكله النهائي بجميع مرافقه وقنواته ومصارفه في القرن الثامن أو الخامس قبل الميلاد،وذلك في عهد المكرب(سمه علي ينوف) والمنقوش اسمه بحرف المسند على صخرة فوق المصرف الايمن للسد القديم[٦٠].

٣ـ المناقشة والترجيح: إن المتتبع للروايات العربية والغربية ليلمس الاضطراب الواضح فيها، لدرجة يصعب معها البت بترجيح احدها والركون اليها والجنوح لها، ما لم يتم تصحيحها وتدقيقها بروية، فثمة رواية واحدة منها هي التي تمت إلى الحقيقة والواقع بصلة، وما سواها فإنما هو تخمين وظن، لذا نرى ان الاستعانة بالقرآئن الاخرى من النقوش والنقول وضمّها إلى بعضها وتوظيفها في خدمة البحث كفيل بالوصول إلى رأي صائب يعول عليه بشأن تاريخ انشاء السدّ وبناته، والخروج من هذا الاضطراب والاختلاف الذي لا طائل تحته ، لذا نرى بان السبئيين هم الذين شيدوا هذا السدّ في عصور تليدة، ويبدو من خلال النقوش ان هناك مشاكل كبيرة واجهتهم بعد قيامه،حيث تعرض فيها خلال الفترة الطويلة التي اعقبت انشائه إلى انهيارات وتصدعات كثيرة بفعل السيول، مما اضطرهم إلى ترميمه وإصلاحه في فترات متفاوتة، استغرقت عهوداً طويلة، حتى عُدت هذه الاصطلاحات والترميمات المتكررة نقاط ضعف في جداره الضخم، مما جعلت أمر صيانته بمضي الوقت عملاً صعباً ومضنياً[٦١]. وبناءًا على هذا فالسدّ لم يبن في وقت واحد، بل استغرق انشاؤه عهوداً طويلة،

وقد ساهمت الممالك اليمنية كافة في بنائه وترميمه عبر العصور المختلفة[٦٢]، وهذا هو حال المنشآت الضخمة والمباني العظيمة في كل العصور، يبدأها الأفراد ويستكملها الأحفاد من بعدهم بالتعاقب[٦٣].

كما نرى بان السبب في اضطراب الرواة في نسبة هذا السدّ إلى عصور مختلفة وأشخاص مختلفين انما هو عائد إلى كثرة تصدعه وتكرار ترميمه عبر العصور، مما أوحى للمؤرخين بأن المرممين هم بناته، فقد كانوا يعدون كل تصدع هدماً،وكل ترميم بناءاً[٦٤]، لذا كثر خلطهم وتعددت آراؤهم وتباينت وجهات نظرهم، ومما يؤكد ذلك كثرة النقوش التي عثر عليها في اصداف السدّ وأمام بوابته، وفي محرم بلقيس، والتي تنص جميعها على اشتراك العديد من مكارب اليمن وملوكها في ترميمه وإصلاحه طيلة القرون المتعاقبة لحكمهم ، لذا يعد المكرب سمه على ينوف(٨٥٠-٨٢٠ ق.م) وأبنه يثع أمر وتر(٧٢٠-٧٠٠ ق.م)[٦٥]، وثاران يهنعم(٧٨٧-٧٤٧ ق.م)وابنه مكليكرب يهامن [٦٦]، والمكرب يدع إل بين بن يثع أمر(٧٨٠-٧٥٠ ق . م)[٦٧]، والملك ذمار علي ذراح بن يدع إل بين(٧٣٠-٧٢٠ ق.م)[٦٨]، والمكرب كرب إل بين بن يثع أمر (٧٢٠-٧١٠ ق.م)[٦٩]، والملك اليشرح يحصب الثاني بن فرع يهب الثاني(٣٥-١٥ ق.م)[٧٠]، من ابرز اولئك الملوك والمكارب الذين ساهموا في تجديد السدّ وترميمه وإصلاحه في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. كما يعد الملك شرحبيل يعفر بن إل كرب ـ ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ـ من ابرز الذين قاموا بترميمه ثلاث مرات في القرن الرابع الميلادي،منها اثنان في عام(٤٤٩، ٤٥٠م)والمرة الثالثة في عام (٤٦٠م)،وهذا ما سجلته النقوش التي غطت الوجوه الاربعة لأعمدة السدّ الواقعة امام البوابة اليسرى له[٧١]، ثم تتابعت الترميمات بعد ذلك حتى كان آخرها في القرن السادس الميلادي على عهد الملك أبرهة الحبشي في عامي (٥٤١ م) و(٥٤٨ م) والتي لم تقم بعدها للسدّ قائمة إلى اليوم[٧٢].

وبناء على ما تقدم نستطيع القول: انه بالرغم من انطواء النقوش الواردة بشأن سد مأرب على فجوات كثيرة فيما بينها من ناحية التسلسل الزمني،إلا انه لم يرد منها ما يؤكد نسبة انشاء السدّ لأحد اصحابها المذكورين،وانما فحواها ومضامينها تنص على التجديد والترميم والإصلاح ، وأن أوّل الدراسات والتنقيبات الأثرية التي قامت بها البعثات العلمية الأثرية حديثاً في العديد من المناطق اليمنية لتثبت قصور تلك الرؤية الغربية وعدم سلامة ذلك الاطار الذي رسمته لتاريخ اليمن القديم ، ولعل من أهم تلك التنقيبات الاثرية والدراسات العلمية تنقيبات

البعثة الاثرية السوفيتية والألمانية والإيطالية ، والبعثة العلمية الاثرية لجامعة بنسلفانيا الأمريكية ، التي أكدت أن تاريخ اليمن القديم لم يبدأ بكيانات ودويلات المكربين في القرن الخامس قبل الميلاد، بل انها اقدم بكثير من تلك القرون، فهناك العديد من النقوش والرسوم والوثائق السبئية في اليمن والسومرية والبابلية في العراق، والفرعونية في مصر تؤكد كلها على معاصر السبئيين للسومريين في الفترة من(٣٥٠٠-٢٧٥٠) قبل الميلاد[٧٣]. كما تؤكد اتصالهم بملوك البابليين في القرنين السابع والثامن قبل الميلاد، فقد ذكر نص الملك الاشوري بيليسر الثالث انه تلقى جزية السبئيين عام (٧٣٨ ق.م)، كما ان آخر مكربي سبأ كان معاصراً للملكين الاشوريين سرجون الثاني في (٧٢٤ق.م) وسنحاريب(٦٨٥ ق.م) في القرنين السابع والثامن قبل الميلاد[٧٤]. كذلك اثبت المسح الاثري الذي قامت به البعثة الألمانية بين عامي(١٩٨٤م) و(١٩٨٨م) في وادي أذنة، الذي يقع في سد مأرب، بأن ترسبات وسائل الرّي في هذا الوادي، تدل على ان تاريخ الري فيها يعود إلى منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد، وأن ثمة مرافق للسدّ منحوتة، يعود تاريخ احدها إلى مطلع الالف الثاني قبل الميلاد[٧٥]. كما ان الدراسات الحديثة التي اجراها العالم(ف فاجنر) على ترسبات السدّ قد أرّخت هذا الخزان المائي بأواسط الالف الثالثة قبل الميلاد[٧٦]،مما يدل على صحة الرواية العربية التي تنسب بناء السدّ إلى عهد سبأ الاكبر في الالف الثالثة قبل الميلاد، لذا نرى ان هذا الرأي هو الرأي الأصوب والأجدر بالترجيح[٧٧].

ثانياً: موقع السدّ: على بعد مائة وبضعة وتسعين كيلو متراً شرق مدينة صنعاء عاصمة اليمن، وعلى اطراف الربع الخالي، في ذلك الوادي الفسيح المترامي الأطراف الواسع المساحة ، الجميل الموقع نشأت حضارة عريقة، وأقيمت مملكة واسعة الأرجاء عرفت بمملكة سبأ[٧٨]، والتي اتخذت من مدينة صرواح ثم مأرب عاصمة لها[٧٩]. هذا وكانت ارض سبأ في قديم الازمان عامرة، تعمها الوحول وتركبها السيول[٨٠]، التي كانت تتجمع وتدخل متدفقة عبر ممر مائي ضيق عند الفجوة (ضيقة) واقعة بين جبلي اليمن والأبلق الباذج المتصل بجبال لجةَّ، التي تلتقي فيها عشرات الاودية المائية والأنهار الصغيرة المنحدرة من جبال اليمن إلى وادي أذنة[٨١]، فتسطوا تلك السيول على معظم المدن والقرى فيها، فينالها من أذاها اكثر مما ينالهم من نفعها، مما اضطرهم للبحث عن الحلول التي تدرأ الاخطار وتزيل عنهم الاخطار[٨٢]، لذا جمع ملوك حمير المهندسين وشاوروهم في دفعها والإفادة منها، فأجمع رأيهم على حفر مصارف لها، وإقامت الحواجز الصادة لها لغرض السيطرة على حدتها ودفع اخطارها[٨٣]. لقد درس

السبئيون مكان السدّ دراسة فاحصة، واختاروا المكان الملائم لأقامته، فشيدوه على قاعدة صخرية بالفلج الايمن من وادي أذنة، وفي المضيق الملائم عند الفتحة الواقعة بين جبلي الابلق الايمن والأيسر في عرض الوادي، بحيث يتيح لها شق مخارج جانبيه واسعة له عبر صخور الجبلين[٨٤]، إذ يصعب اقامت منشآة ضخمة بحجم سدّ مأرب على قاعدة ترابية بدون ربط جدراه وصدفيه ـ مخرجيه ـ ربطاً محكماً بالصخور من اسفل جبل البلق، لأن ذلك ربما يؤدي إلى إلحاق الاضرار به وتصدعه بفعل السيول، التي كانت تتدفق عليه بقوة ومن غير انتظام[٨٥].

إن الغرض الذي دعاهم لإقامة السدّ هو صموده أمام قوة اندفاع تيار السيول الجارفة دون أن تترك اثراً فيه، فضلاً عن استمرارية تأدية مهامه في حفظ المياه وتخزينها وتحويلها إلى القنوات التي تسقي الحقول على جانبي الوادي اطول فترة ممكنة، لذا ادرك السبئيون حجم الاخطار المحدقة بهم جراء هذه السيول فأخذوا بحسبانهم ذلك، مما دعاهم إلى تشييد سد قوي منيع ومحكم التصميم بحيث تفوق قدراته وطاقاته وإمكانياته بقية السدود الاخرى[٨٦]. وبناء على هذه المعطيات صمم السبئيون العرم[٨٧]، وأشادوه بقطع صخرية رخامية كبيرة، مستطيلة الشكل، مقطوعة ومنحوتة نحتاً دقيقاً، وملحّمة بالحديد والقار والقطر والرّصاص والنحاس[٨٨]، مما زاد في صلابته وقوته ومتانته، حيث كان يقف امام السيول كالطود الشامخ، فيعترضها عن الجري، حتى تتجمع وترتفع وتسير إلى المصرفين المبنيين بناء فخماً[٨٩]، والذين يحتويان على فتحات مستديرة تبلغ ثلاثين فتحة ـ مخراقا ـ محكمة الإغلاق تتحكم في تخزين مياه السيول حولاً كاملاً ، يقدر عرض كل منها اربعة أمتار ، بحيث تخرج منها المياه إلى القنوات بانسيابية تامة ، ومن ثم توزع إلى الجهات التي تسقي الجنتين على قدر الحاجة[٩٠].

كما اقام المهندسون السبئيون أبواباً ضخمة لدخول المياه وخروجها منه بانتظام ، وجعلوها مقسمة على ثلاث بوابات محكمة يعلو بعضها بعضاً، فإذا احتاجوا إلى السقي فتحوها تباعاً من الاول الاعلى فينساب منه الماء ويتحول إلى جانب السدّ لريّ الجنتين اليسرى واليمنى ، فإذا نزل منسوب المياه ومستواه عن الباب الاعلى فتحوا الثاني الاوسط الادنى منه،ثم الثالث الأخير،حتى يتم ارواء كافة الاراضي الزراعية المحيطة بالسدّ[٩١]. وأما ابعاد السدّ، فقد بلغ طوله من الشرق إلى الغرب ثمانمائة ذراعاً، وعرضه مائة وخمسون ذراعاً، ويعلو عن مستوى الوادي بضعة عشر ذراعاً، ينتهي بسطحين مائلين على شكل زاوية منفرجة، تكسوها طبقة من الحصى التي تمنع انجراف

التربة عند تدفق المياه[٩٢]. وهكذا نجح السبئيون في إحكام السدّ، حتى جاء العرم على أتم صفة، واكمل تقدير، وأصح هندسة ، وأروع تصميم، وأحسن بناء، بحيث تجلت فيه البراعة المتناهية للهندسة العربية القديمة[٩٣]، لذا يعد بحق ثورة في عالم الهندسة والبناء ، والذي اتاح الفرصة للإنسان باستغلال الطبيعة احسن استغلال ، حتى استطاع هذا السدّ القيام بمهمته الجليلة في تنظيم الري طيلة قرون طويلة،استطاع من خلالها تحويل الارض الغبراء المنبسطة أمامه إلى جنة فيحاء وارفة الظلال،فاكتست الارض حلة خضراء،فعمَّ ربوع اليمن بفضله الرَّخاء والنعيم حتى تردد صداه العصور والدهور[٩٤].هذا وقد سجل القرآن الكريم حياة البزخ والخصب والرخاء التي عاشها السبئيون آنذاك، فقال تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾.[٩٥]، كما لهج بذكر هذا السدّ العديد من شعراء العرب وتفاخروا به على مرّ العصور، فقد اشار إليه الشاعر النابغة الجعدي ، فقال[٩٦]:

مِنْ سَبأ الحَاضرينَ مَأربُ إذْ * يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سيلهِ العَرِما

وبهذا يتضح لنا: بأن السبئين قد نجحوا في انشاء سدّ ثنائي الوظيفة في مأرب، يقوم برفع منسوب السيول المتدفقة في وادي أذنة إلى مستوى معين، بحيث يسهل معه سقي الحقول الممتدة على حافتيه، والتي ترتفع بضعة امتار عن بطن الوادي،وفي الوقت نفسه يقوم السدّ بحجز وادي أذنة كله وتحويل سيوله إلى تلك الحقول عبر مصرفين جانبيين وطيدي البناء، لذا فالسد صمم للتعامل مع السيول مباشرة، بحيث يحتويها أولاً، ثم يسرع في تصريفها وتوزيعها عند الحاجة بالقدر الكافي ثانياً، فهو بمثابة حاجز لتحويل مجرى الوادي اكثر منه صهريجاً لخزن المياه.

ثالثاً: منشآت السدّ: عنى اليمنيون ببناء السدود وإنشائها عناية فائقة منذ القدم ، ولعل الدلائل التاريخية تشير إلى ان حضارة وادي سبأ في شرق اليمن، قد أدت تطوراً كبيراً في تكوين فكرة انشاء السدود وتطوير نظم الري في الوديان الجافة، لذا اقترن سدّ مأرب بسبأ عبر العصور، حتى نال شهرة واسعة واستبد بالذكر من بين سائر السدود الاخرى منذ القدم[٩٧]. لقد جاء بنا السدّ استجابة لظروف طبيعية واجتماعية وحاجة ضرورية ملحة اقتضتها ضرورة السيطرة على مياه السيول الجارفة المتدفقة على ارض مأرب، لذا صمم السدّ ليؤدي هذا الغرض

ويصب في هذا الاتجاه،حتى غدى من ابرز المشاريع العالمية التي اقامها السبئيون على ارض اليمن، والتي لا تزال اثاره قائمة إلى اليوم[٩٨]. وربما يعد الهمداني (ت٣٣٤هـ) أوّل من شاهد آثار العرم وأنقاضه من مؤرخي العرب بعد الاسلام ، فوصفه وصفاً دقيقاً، وبناء على تلك المعطيات والدراسات الاثرية لبقايا السدّ نستطيع تحديد منشآته الاساسية التي قام عليها،والتي تتألف من الآتي: جدار السدّ الذي يحجز الوادي ، والمصرفان الكبيران اللذان تنساب منهما المياه من جانبي السدّ، اللتان تعرفان بالصدفين، والقناتان الرئيستان اللتان تربطان المصرفين بالجنتين، وشبكة الريّ المكونة من القنوات الفرعية التي تسقي الحقول ، وحقول الجنتين بأشكالها المستطيلة والمربعة،التي تكونّ بمجملها ارض الجنتين في وادي سبأ[٩٩].

المبحث الثالث :

دور طريفة الكاهنة في التنبؤ بانهيار السدّ وهجرة قبائل الازد

يكاد يكون وضع المرأة في أي مجتمع مقياساً رئيساً لطبيعة هذا المجتمع وأصالته ، لأن التعامل معها يعكس الوجه الحقيقي لأية أُمة،أو حضارة، لذا ارتبط اسم اليمن وتاريخه العريق بحضورها ومشاركتها المستمرة والفاعلة للرجل منذ القدم. ولما كانت الكهانة فاشية في العرب منذ القدم ، فقد اضطلع الكهان بوظائف عديدة تماوهت بين العديد من الادوار الدينية والسياسية، وهو واقع مألوف ومعروف في العالم العربي القديم قبل الاسلام.

والحق ان اصوات الكهان لم تكن يلقى لها بالاً أو تلقى لها آذاناً صاغية اكثر مما كانت تلقاه في حالة الحروب والأخطار القادمة، والتي يصبح فيها المجتمع فريسة للقلق والضياع، لذا كانوا سرعان ما يفزعون إليهم يلتمسون وحيهم، ويضعون فيهم ثقتهم، وربما كان هذا العامل الرئيس في استمرار الكهانة وانتشارها في العرب قبل الاسلام. ويبدوا بأن الكهان كانوا يتعاملون مع هذه الاحداث بطريقة الوحي والسجع، وهناك العديد من المجموعات الكثيرة التي وردت في موروثنا العربي تدل على وحيّ اولئك الكهان، ولكن من المؤكد ان افضلها ما كان مرتبطاً بأحداث لا يمكن ان تكون تاريخياً موضع شك، وذلك كحادث انهيار سدّ مأرب وغيره، لذا يعد الوحي الاكثر شهرة من هذه المجموعات هو الذي ينسب إلى طريفة الكاهنة، والذي نقلت فيه إلى زعيم قومها وزوجها الملك عمرو مزيقياء بن عامر اخبار انهيار السدّ الوشيك، وتعرضهم على اثره لكارثة طبيعية تنذرهم بالتفرق في انحاء البلاد العربية[١٠٠]. وبغض النظر عن اصالة الوحي وصدق هذه الحكاية، التي استطاعت الكاهنة فيها ان تنشئ علاقة تربط السبب بالنتيجة بين خراب السدّ وهجرة القبائل، فإن من الثابت أن الشكل والأسلوب لهذا الوحي ومحتواه الدلالي، الذي وصف الحادث القادم قبل وقوعه، قد تطابق فعلاً مع شكل ومحتوى الوحي السامي لها، وشهد الواقع بصدق أقوالها، مما يدل على انها كانت على درجة رفيعة من الحكمة وسداد الرأي، وحتى ولو كان هذا الوحي مختلقاً بالكامل، فإنه يكشف عن حالة ذهنية مألوفة لدى العرب القدامى يكون من التعسف انكارها. فقد اتسمت طريفة الكاهنة بخلال حميدة وصفات جليلة ميزتها عن غيرها، وذلك كالفصاحة والبلاغة

والفطنة والذكاء، وقوة الملاحظة، فضلاً عن الكهانة التي برعت فيها، مما اكسبها منزلة رفيعة ونفوذاً واسعاً مكنها من تسنم قيادة قومها دينياً وسياسياً والعبور بهم إلى بر الأمان ، فقد لعبت دوراً كبيراً في التنبؤ بانهيار السدّ قبل وقوعه، وقيادة قبائل الازد في هجرتهم قبل وقوع الكارثة[١٠١]، لذا تناولت مصادر التاريخ والأدب خبرها والدور الذي اضطلعت به بشكل اسطوري لا يخلو من الطرافة والمبالغة ، ومن أجل الوقوف على هذا الدور الريادي والقيادي لطريفة الكاهنة فإننا سنفصل القول فيه وفقاً للآتي:

أولاً: دور طريفة الكاهنة في التنبؤ بانهيار السدّ: حضي سدّ مأرب بشهرة واسعة ميزته عن سائر سدود اليمن القديمة، لذا حيكت حول خرابه شتى القصص والأساطير الخرافية ، التي ملأت مصادر التاريخ والأدب العربي منذ القدم.ولم تفتأ هذه المصادر تتناول حادثة هدم السدّ وخرابه وسردها بأسلوب قصصي مفعم بالخيال الجامح ، الذي سمح للعقل العربي من التحليق في اجوائه ومنحه الحرية التامة في تعليل وتحليل اسباب وعوامل ذلك الانهيار الأليم، حيث جعل للقوارض والفئران منه نصيباً كبيراً [١٠٢] ، لذا جاء هذا التعليل واهياً وغير خاضع لمنطق العقل كما هي عادة الاساطير.ولعل الراوي العربي أراد ان يكسو هذا المبرر الواهي قدراً من الواقعية ، لذا لجأ إلى اسلوب الكهانة الذي يتميز بالتنبؤات في وصف الحادث قبل وقوعه ، وكأنه اراد اقناع السامع والقارئ بأن امكانية حدوث هذا ووقوعه ممكناً،فلا ضير اذاً من تصديقها. لذا جعل الكهانة محوراً لهذا الحدث ، فجميع احداث الأسطورة كما هو ملاحظ تسبقها اقوال الكاهنة طريفة وتنبؤاتها بما سيحدث لاحقاً، وهكذا نجد شخصية الكاهنة وأقوالها هي المحرك الأساسي لأحداث الاسطورة وسيرها،كما نجد لإشاراتها وأقوالها وتنبؤاتها آذاناً صاغية، فالجميع يمتثلون لأمرها ويتبعون توجيهاتها [١٠٣] ،ولعل الاسطورة في هذا الحالة تعكس ظاهرة اجتماعية سائدة بينهم، تلك هي الكهانة وما تمتع بها اصحابها من منزلة اجتماعية ودينية وسياسية مرموقة عندهم قبل الاسلام.

تشير الرواية العربية إلى ان طريفة الكاهنة بدأت تتلقى الاشارات والعلامات التي تنذرها بوقوع حدث جسيم يصيب هذا السدّ، لذا عليها القيام بتحذير قومها وتدارك الأمر قبل فواته، ولعلها وجدت في الرؤى المنامية دافعاً للقيام بهذه المهمة، لذا افزعها الامر وقضَّ مضجعها، فسارعت في تحذير قومها من مغبة الكارثة القادمة، وحاولت توعيتهم وإحاطتهم بالخبر قبل وقوعه، علَّهم يسارعون في تدارك الامر ويتجنبون العواقب الوخيمة

القادمة بانهيار السدّ، وبهذا تكون الرؤى المنامية التي تلقتها طريفة هي أولى مظاهر هذا التحذير[١٠٤]. فقد اشار الاخباريون إلى هذه المنامات، فذكروا: بأن طريفة الكاهنة كانت نائمة ذات يوم إلى جانب زوجها الملك عمرو مزيقياء،فرأت كأن سحابة سوداء غشيت أرض اليمن،فأبرقت وأرعدت واصقعت، فلم تقع على شيء إلا أحرقته ، ففزعت من منامها، وقامت مذعورة مرعوبة، فسكنَّ عمرو من روعها، وسألها عن قصتها! فقالت: أزف بكم الغرق وأتاكم من الامر ما قدر وسبق، فأخذ عمرو في تسكينها وسألها عما رأت؟ فقالت: يا عمرو هلك النسل بالوحل[١٠٥]، ما رأيت مثل اليوم قد أذهب عني النوم، رأيت غيماً ابرق وأرعد طويلاً ، ثم اصعق فما وقع على شيء إلا احترق فما بعد هذا إلا الغرق[١٠٦].

هذه الرؤية المنامية المفزعة ما لبثت أن تبعتها علامات وإشارات على ارض الواقع، ولعل حركة الرياح والأشجار وحيوانات الحديقة تعد من ابرز المظاهر التي ساقتها الاقدار لتؤكد للكاهنة طريفة صدق رؤيتها، فقد شاهدت في قصرها ثلاثة مناجد ـ سلحفاة ـ منتصبات على أرجلهن ، واضعات أيديهن على عيونهن، ففزعت طريفة وطلبت من وصيفاتها اعلامها بذهابهن بعد أن أغمضت عيناها، فلما أخبرنها بانصرافهن فتحت الكاهنة عينيها وانصرفت مسرعة فعارضها خليج جنان عمرو، فوثبت احدى السلاحف ووقعت على التراب، ورامت الانقلاب فلم تقدر، وأخذت تحثوا التراب على رأسها وبطنها، ففزعت الكاهنة وأغمضت عينيها، ولما ذهبت السلحفاة اسرعت الكاهنة ودخلت الحديقة منتصف النهار، فإذا بأشجار الحديقة تتمايل من غير ريح[١٠٧]، ففزعت ودخلت على زوجها عمرو، فرحب بها، ودعاها إلى فراشها، لكنها رفضت ذلك، وقالت:هيهات هيهات يا عمرو تفاقم الأمر ومنع السرّ،فسألها وما ذاك؟ فقالت: والنور والظلماء ، والأرض والسماء، ليهلكن الشجر والماء، ففزع عمرو وسألها عن ذاك، قالت: أخبرتني المناجد بسبع سنين شدائد، يقطع فيها الولد الوالد، وترمي بك إلى ارض المساجد، وتوالون الأباعد، فارتاع زوجها، وقال لها: انظري ما تقولين، فقالت:اني اقول تلهفاً لما رأيت السلحفاة علت الخليج آنفاً تغترف التراب بيدها تغرفا، لذا أرى اموراً جسيمة، تأتي بأوابد عظيمة، وأمور أليمة، أشأم من الهزيمة، نهاراً أو عتيمة، فلتكن من امرك على وجل، ينجو بنو وائل، ويهلك الوسائل ومالك ونائل، فكأني اسمع رنة القائل، عند جولة القبائل، فاحذروا ما تأتي به الدلائل[١٠٨].ويسألها زوجها إيضاح الامر وبيانه،فتقول: يا عمرو انعى اليك تفرق الأحباب وذهاب الخيل والركاب،والماشية والاهاب، والذهب والفضة والثياب، من السيل

الاسود المنتاب، وكان زوجها متكئاً فاستوى جالساً وقال: بيّني لي النجاة، قالت: خطب طويل وأمر جليل، والقتل خير من السيل، قال صدقت، فما وجه ما تذكرين؟ قالت: إيت السدّ، ولا تبعث أحد، فيكون ذلك آكد، فأن رأيت جرذاً يقلب برجليه الصخر، ويكثر بيديه الحفر، فأعلم أنه قد نزل الأمر، فعليك بالصبر، ولا تجزع لعوادي الدهر[١٠٩] ، قال عمرو: فمتى ترين هذا الأمر؟ قالت: وعد من الله نزل، وباطل بطل، ونكال بنا نزل، فليكن بغيرك يا عمرو الثكل[١١٠]، فأنطلق عمرو إلى السدّ مسرعاً، فرأى الجرذ يبحث في الصخور ويقلبها بالرغم من ثقلها، فأيقن بالخراب الآتي لا محالة ، وعلم بصدق طريفة ، فرجع إليها مغموماً، وأنشد يقول :

ابنةَ الخَيرِ والفَلاحِ أصْدُقينا * قَدْ رأيْنَا بعضَ الذي تَعدِينا

قدْ رأيتُ الجُرذَ في السدِّ يَقينا * فأشـــــــيري بالذِّي تَعلمِينا

قالت طريفة: ما بينك وبين السيل سبع سنين، ينزل الامر اليقين، وتحول البنين[١١١]، قال: وما علامة ذلك؟ قالت: أدع بقدح من زجاج في مجلسك دون الرتاج، واضرم أمامه سراج، فأنه يمتلئ رملاً بلا مزاج، ففعل عمرو، فما لبث أن امتلأ رملاً والريح لا تصل إليه ، ثم قالت: يا عمرو إذا رأيت الحصباء في شريك ، فاغتنم بيع أرضك واخرج إلى النخيل فان رأيت سعفها يتناصل ويميل فأرحل فقد آن الرحيل ، وبع مالك بمأرب من مال[١١٢]. وبعد ما سمع عمرو من طريفة ما سمع ورأى ما رأى كتم أمره، واحتال لقومه بحيلة، فعمل لهم وليمة دعاهم جميعاً إليها، وأمر ابنه بإهانته أمام الضيوف تنفيذاً لاتفاق عقد بينهما، فصاح أولاده وقومه وقال وا ذلاه، واقسم الا يقيم بهذا البلد وباع كل ما يملك وانتوى الهجرة مع ولده وقومه من ارض سبأ[١١٣]، ولما قضى عمرو ثمن أمواله دعا بمالك بن النعمان سيد الازد بعده فأخبره الخبر، ثم استفتى طريفة الكاهنة في الرحيل وطلب منها ان ترشدهم بالمسير، فخرجوا مسرعين، وبعد خروجهم بمدة يسيرة وقعت الكارثة ، وتحققت ما تنبأت به طريفة الكاهنة من انهدام السدّ وخرابه[١١٤].

وبهذا يتضح لنا: الدور الريادي والإرشادي الذي اضطلعت به طريفة الكاهنة في قومها، والذي كان له الاثر البالغ في احتواء الموقف والخروج من المأزق، والنجاح الباهر الذي حققته في الحفاظ على بيضة قومها الازد، وتجنيبهم كارثة محققة كادت أن تودي بهلاكهم وفنائهم، ولعل التحذيرات المتكررة التي اطلقتها فيهم وجدت

طريقها إلى الآذان الصاغية والقلوب الواعية، مما يدل على الثقة التامة التي اكتسبتها بينهم، لذا كانت اهلاً للقيادة فيهم والتوجيه والإرشاد ، فنالت بذلك مكانة رفيعة ومنزلة مرموقة بينهم منذ القدم.

ثانياً: تاريخ انهيار السدّ: قام سدّ مأرب بمهمته الجليلة في اعتراض مياه السيول والأمطار وتخزينها طيلة قرون عديدة، ولعل هذه المهمة لم تدم طويلا ، فما لبثت عوامل التعرية والرطوبة وقوة التيار الضاربة من تدفق السيول واستمرارها إلى اضعاف السدّ،وبدأت منشأته بالتصدع والانشقاق في جميع جوانبها،ولم تنفع الترميمات العديدة التي قام بها الملوك عبر العصور في الحفاظ على قوة السدّ ومتانته ووقوفه طويلاً امام السيول العارمة والمياه الجارفة،وربما يعد سيل العرم[١١٥] واحدا من ابرز السيول التي انتابته على مر العصور،حيث غلب الماء وتناهى حتى علا بنيان السدّ ومنشأته،فهدم أركانه وقوَّض بنيانه،فانهار وسقط سقوطاً مروعاً،وحلّ بأرض اليمن السعيد كارثة عظمى وفاجعة أليمة،كانت سبباً في تفرق شملهم ، وترك أوطانهم، وضياع حضارتهم، وتمزقهم في انحاء البلاد العربية المتفرقة[١١٦].

لقد تناول الرواة والإخباريون حادثة تهدم السدّ وانهياره، لكنهم اختلفوا في تحديد تاريخ هذا الحدث كما اختلفوا قبله في تاريخ بنائه، غير ان معظم هذه الروايات العربية نجدها مجمعة على ان تاريخ الانهيار الذي تسبب في تفرق الازد يعود إلى عهد الملك عمران الكاهن بن ماء السماء[١١٧]. كما حدد بعض الاخباريين تاريخ انهياره إلى حدود المائة الاولى للميلاد، فذكروا بأن انهياره كان قبل الاسلام بـ(٤٠٠) عام على وجه التحديد[١١٨]، بينما حدد بعض المؤرخين المعاصرين مطلع القرن الثاني قبل الميلاد تاريخاً لانهياره ، وذلك بعد التصدع الذي اصابه في عهد ملك سبأ (إليشرح بن يحصب بن فرع بن ينهب الاول) وذلك في عام(١١٥ ق.م)، والذي كان ايذاناً بسقوط دولة سبأ، وتفرق اكثر سكان المنطقة الجنوبية[١١٩]. هذا ومهما يكن من امر هذه الخلافات فإننا لا نريد الخوض في تفاصيلها، بل الذي يهمنا فيها أن خراب السدّ حقيقة واقعة، وكان تفجره تفجراً خارقاً للعادة، بل كارثة كبيرة أدت الى تدميره وأتت على معظم بنيانه وجرفت اكثر منشآت الري في الجنتين،وشلت حركة المزارعين،وبعد ان كان السدّ مفخرة ورمزاً لحضارة اليمن القديم،صار تفجره ذكرى لانهيار تلك الحضارة،التي بقيت عالقة في اذهان اهلها إلى يومنا، تحرك فيهم الاشجان وتبث فيهم الآمال والآلام معاً.إن كارثة انهيار السدّ تناولتها مصادر التاريخ

والأدب ولم تتوان اقلام العرب في تعليل الاسباب وتحليل الدوافع التي وقفت وراء هذا الانهيار العظيم ، فقد سجل هذه الحادثة المروعة القرآن الكريم، فقال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾.(١٢٠)، كما اشار إلى هذه المأساة العديد من شعراء العرب قبل الاسلام ، فقد اشار إليها الشاعر الأعشى، فقال(١٢١):

فَفي ذلِكَ للمُؤتسي أُسوةٌ * ومأربُ قّفيَّ علَيها العَرِمْ

رُخامٌ بَنتْهُ لهم حِمِيرٌ * إذْ جاءَهُ ماؤهُمْ لم يَرَمْ

فأروى الزروعَ وأعنَابَهَا * على سعةٍ ماؤهُمْ إذْ قُسِمْ

فعاشُوا بذلكَ في غبطةٍ * فجارَ بهِ جارفٌ مُنهزَمْ

فطارَ القيُولُ وَقيلانهُا * بهيماءَ فيها سرابٌ يَطِمْ

فطاروا سراعاً وما يقدرون * منهُ لشربِ صَبِيٍّ فَطِمْ

ثالثاً: دور طريفة الكاهنة في هجرة قبائل الازد:

من المعروف ان لكل هجرة أسبابها وعواملها القاهرة التي تجبر السكان على ترك أوطانهم وتضطرهم إلى هجرها والرحيل عنها والنزوح إلى مناطق اخرى اكثر استقراراً وأهناً حالاً ، لذا تعد شبه الجزيرة العربية المصدر الأول لهجرة القبائل العربية عبر العصور والحقب التاريخية الطويلة، مما أسهم في تزويد مناطق الهلال الخصيب وبلاد الرافدين وشرق الجزيرة وغربها بمجموعات كبيرة من هذه القبائل العربية الاصيلة منذ القدم.

لقد شغلت دوافع الهجرة وأسبابها اذهان العديد من مؤرخي العرب وغيرهم منذ القدم ، وتناولوها بالبحث والتمحيص والدراسة، بيد أن المتمعن في هجرات العرب لاسيما عرب الشمال من الحجاز وتهامة ونجد صوب العراق وبلاد الشام ليلمس قدراً كافياً من الدوافع التي تمنحهم العذر وتعطيهم الحق في هجرها، ولكن هجرة القبائل العربية من جنوب شبه الجزيرة العربية لاسيما منطقة اليمن السعيد إلى الشمال والشرق لتثير العديد من التساؤلات ؟ بحيث لا يمكن حدوثها اعتباطاً ولا فجأة ، فهكذا موجات من الهجرة انما كانت تقف وراءها ظروف قاهرة وأسباب كثيرة،وعوامل متعددة،اضطرتهم لمثل هذا النزوح الجماعي قبل الاسلام، ولعل الحروب الخارجية والداخلية التي ادت إلى اهمال الجانب الزراعي، وحولت اثرها طريق التجارة، فضلاً عن الكوارث الطبيعية البيئية التي منيت بها المنطقة اثر خراب سدّ مأرب، وانهيار منظومة الري برمتها، هي التي أدت بمجموعها إلى تمزق سكان هذه المنطقة،لاسيما قبائل الازد، مما اضطرهم إلى ترك اوطانهم وركوب موجة الهجرة والنزوح الجماعي من مناطقهم، والاتجاه صوب المناطق التي توفر لهم الأمن والاستقرار والعيش الكريم ، ولا نبعد النجعة إذا قلنا بأن هذه الهجرات العربية المتوالية هي التي ساهمت في تحويل مركز الجاذبية السياسية في بلاد العرب من جنوبها إلى شمالها، وساعدت في نشوء دول وممالك وحضارات عربية عريقة على أطرافها الشمالية،كمملكة الحيرة في العراق، والغساسنة في بلاد الشام.والحق ان ما يعنينا من هذه الهجرات على وجه التحديد هي هجرة قبائل الازد العربية دون سواها، وذلك لصلتها المباشرة بدور طريفة الكاهنة، لذا سنحاول التركيز عليها وكشف هذا الدور البارز الذي اضطلعت به في قومها، وقد وقفنا على بعض هذا الدور الذي لعبته مسبقاً في قومها، وأعطينا الصورة الواضحة له هناك، لهذا يحسن بنا البدء من حيث انتهينا هناك ، والعودة إلى دورها الجديد الذي تقلدته في قيادة قومها خلال هجرتهم، ورسم صورة لهذا الدور علّها تكون أقرب الى الحقيقة والواقع التاريخي لهذه الحادثة الطويلة والشاقة التي قطعوها في بلاد العرب قبل الاسلام .

لقد أورد الاخباريون طرفاً كبيراً من خبر هذه الهجرة الطويلة المضنية للازد، وحاولوا ابراز دور طريفة الكاهنة فيها،فقد سجلوا فيها معظم ما أثر من اقوالها وإرشاداتها وحكمها،لذا سنوردها بصورة مجملة، ونتبعها بالملاحظات التي سنسجلها عليها لاحقاً. فقد ذكر الإخباريون بأن عمرو مزيقياء بعدما اجمع وقومه المسير استشار طريفة وسألها عن الوجهة التي تراها صالحة لمسيرهم،فقالت: فيكم الامير وإليكم التدبير، يا أهل المجد من سبأ

الممزقة، سيروا فلا بدلكم من فرقة يتقدمها اليسار،وتعفوا الآثار،فتنأى بالديار،وتطول فيها الأسفار وتنقضي منها الأوطار، فعجلوا بالمسير،ففي كل بلد لكم فيها خبر، ويقيم منكم نفر، ولكم الظفر، فتوارثون الملك بعد الملك، وتلبسون التاج بغير شك، وليبدأ امركم من عك ، فسيروا إليها ، فسار الملك عمرو مزيقياء بقومه إلى عك ونزل على سيدها سلقمة بن حباب وسأله الجوار ريثما يرتاد لهم منزلاً غيره، فرحب بهم وأنزلهم الجانب الغربي من عك، وبعث الملك عمرو أولاده ليرتادوا له المنازل، فأعتل الملك واستخلف على قومه ابنه ثعلبة العنقاء، ومات قبل عودة أولاده ثم ما لبثت ان وقعت بينهم وبين عك حروب ومعارك ، فقرر ثعلبة الرحيل، واستشار طريفة في الوجهة السليمة فأشارت عليه بالتوجه إلى همدان، وقالت له: يا سنان بشر الازد غسان من ولد الاعز كهلان بالنصر على همدان، فلما انتهوا إلى همدان، وقع القتال بينهم وكان النصر فيه للازد، ثم ارتحلوا عنها وخلفوا فيها بنو وداعة فأحسنت همدان جوارهم وملكوهم عليهم[١٢٢]. ثم ارتأت طريفة أن يتوجه بقية الازد إلى نجران، فقالت لثعلبة: والبرق والبيان، والذهب والفضة والعقيان، لتحاربن الفرسان، وتلقون خيلاً ذات سنان ، ذي أسل وأبدان ومفاتح الإيمان فأقدموا إلى نجران، فسار الازد وقاتلوا مذحجاً حتى غلبوهم، وتصالحوا معهم وتركوا ارضهم[١٢٣].

ثم تتابعت مسيرة الازد واختارت لهم طريفة وجهة جديدة، وإمرتهم بالتوجه في مسيرتهم إلى بلاد عمان والبحرين، وخيرتهم بعد أن ذكرت لهم ميزات كل بلد منها، فقالت: من كان منكم ذا هم بعيد، وحمل شديد، ومزاد جديد، فليلحق بقصر عمان المشيد، فسار الازد إلى عمان والبحرين[١٢٤]، كما وجهت بعضهم إلى بلاد شنوءة، فقالت: من كان منكم ذا حمل مضن، ووطب مدن، وقرية وشن، فلينقلب منا وليلحق بالثني من شن،فكان الذين نزلوا جبل السراة ازد شنوءة[١٢٥]. وتستمر طريفة الكاهنة في اختيار البلاد لقومها الازد وتحاول تقسيمهم على مناطق العرب، فوجهتهم هذه المرة إلى بطن مرّ من الحجاز، فقالت: من كان منكم ذا جلد،وقصر وخبر على ازمات الدهر، فعليه بالأراك من بطن مرّ، لذا سارت إليها خزاعة ونزلت فيها[١٢٦]، فانخزعت عن قومها وسميت بخزاعة، وإلى هذا المعنى اشار الشاعر حسان بن ثابت، فقال[١٢٧]:

فلمَّا هَبطنا بطنَ مرّ تخرعّت * خزاعةُ عنّا في حلولِ كَراكرِ

ثم اختارت طريفة لقبائل الازد وجهة أخرى وبقعة طيبة،انها مدينة النخيل يثرب،فقالت: من منكم ذا رمح ونجل، وسيف ونصل،ورأي جزل، وقول فصل[١٢٨]،وأراد الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل،فكان الذي نزلوها قبائل الاوس والخزرج[١٢٩].وتتحول وجهة طريفة إلى خارج شبه جزيرة العرب،فتختار لبقية الازد وجهة جديدة هي ارض بابل في العراق،لذا قالت لهم:من كان يريد منكم بلداً عالياً وعيشاً راضياً،وخيلاً صوافنا،وملكاً دانيا،فليلحق بالمشرق من ارض بابل،بين القبائل،في اطيب المنازل،وأحسن المناهل من أعلى المعاقل،فسار من الازد بنو همدان نحو بابل وسكنوها[١٣٠].ثم خيرت بقيتهم فقالت:من كان يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الارزاق والدم المهراق،فليلحق بأرض العراق، فكان الذين سكنوا الحيرة منهم أل جذيمة الابرش[١٣١].ولعل طريفة الكاهنة رأت في بلاد الشام مكاناً رحباً لبعض قبائل الازد، لذا حاولت لفت انظارهم إلى خيراتها وخصوبتها، فقالت : من كان منكم يريد الخمر والخمير، والأمر والتأمير، والديباج والحرير،فليلحق ببصرى ودمشق والحفير، وهي من بلاد الشام ، فكان الذين سكنوهما هم أل جفنة من غسان[١٣٢].

وتتابع الازد سيرها مع طريفة حتى اذا كانوا ببعض الطريق استوقفتهم ، وقالت: سيروا وأسيروا ، فلن تجتمعوا انتم ومن خلفكم أبداً في هذا المكان، فهذا لكم أصل وانتم له فرع، مهٍ مهٍ، وحقاً اقول لكم ما علمني إلا الحكيم المحكم،رب جميع الانس من عرب وعجم ، فقالوا لها: ما شأنك يا طريفة ؟ فقالت : خذوا البعير وخضبوه بالدم ، تكن لكم ارض جرهم،وهم جيران بيته المحرم ، فأتوها فهزموا جرهماً، وبقي منهم في مكة ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر،وهو لحيّ الذي ولي أمر مكة وحجابة البيت ردحاً من الزمن[١٣٣]. هذا ولما خرج ثعلبة بمن معه من بقية الازد من مكة اثر الحُمَّى التي اصابتهم فيها وانتهى إلى منطقة الجحفة وبلغ المشلل، أحست طريفة الكاهنة بدنو أجلها فجمعتهم وأوصتهم قائلة: يا بني عمرو بن عامر أوصيكم فقد حان موتي، ودنى أجلي ولكل أمر نبأ، فأنزلوا واقيموا فاني ميتة هذه الليلة، وقد رأيت أن يخلفني في علمي هذا مولودان من العرب هما شق وسطيح ، ثم جيء بهم إليها وحنكتهما وغذتهما من ريقها ونفثت في افواههما واختارتهما خلفاء لها من بعدها في الكهانة، وأوصت ثعلبة بالخروج إلى بلاد الشام واللحوق ببقية الازد هناك، فقالت له: يا ثعلبة اذا جاوزت الحجر والمقام فانزلوا على الأعلام من ارض الشام، وأنشدت تقول :

إنَّ ابنة الخيرِ لها أعجُوبة * ومِيتةٌ تُقْضَى لَها مَكتوبة * يُودي بها في ليلةِ العُروبة

فماتت طريفة ليلة الجمعة في عقبة الجحفة، وقبرها هناك معروف(١٣٤)، وبموتها تنتهي قصتها مع الازد، لكن قبائلهم تستمر في تفرقها وسيرها في ارجاء الجزيرة العربية وأطرافها ، حتى صدق عليهم المثل القائل: " ذهبوا وتفرقوا أيدي سبأ" (١٣٥).

وبهذا يتضح لنا الدور المميز الذي لعبته طريفة الكاهنة في هجرة قبائل الازد، ولعل ابرز ما يميز هذا الدور الريادي الذي اضطلعت به طريفة خلال مرافقتها لقومها في البحث عن مواطن جديدة صالحة للاستقرار انما يتمثل في القيادة والتوجيه السديد والإرشاد الصائب والمعلومات الدقيقة التي زودتهم بها خلال هذه الرحلة الشاقة الطويلة والمضنية لهم قبل الاسلام. فبالرغم من عدم قيامها برحلات مسبقة خارج حدود قصرها في مأرب، إلا أنها اثبتت جدارتها المعرفية وأظهرت خبرتها الفائقة في الاحاطة بطبيعة البلاد العربية المتفرقة، حتى وصفتها لقومها وصف الخبير الخريت المتمرس، ولعله ساعدها في حسن الاختيار وسداد الرأي وصواب المشورة تلك الملكة الكهنوتية والموهبة الخارقة، التي منحتها القدرة العجيبة على قراءة المستقبل وكشف خفايا الأمور، والتمييز بين النافع والضَّار، والخير والشَّر، فاختارت الصالح لها ولقومها، مما اكسبها مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة مكنتها من تسنم الصدارة في قومها، حتى كانت طريفة بحق الآلهة الأم التي وجهت الهجرة العربية القحطانية وجهتها السليمة قبل الاسلام، كذلك يتجلى لنا دور طريفة الكاهنة في حملها لهموم قومها،والتعبير عنه في اقوالها وأسجاعها المبثوثة قبل وقوع حادث السدّ وبعده،والتي تدل على ارتباطها المباشر بواقع قومها الاجتماعي والاقتصادي ،ففي مثل هذا اللون من الادب العربي تحاول طريفة أن تعكس واقع قومها في حقبة زمنية من حقب التاريخ المرير لهم،والذي انفعلت معه نفوسهم حتى تملكت هذه الاحداث الجسام مشاعرهم،لذا اخذت طريفة الكاهنة تنفث في اقوالها همومهم وآمالهم وآلامهم وطموحهم وأمانيهم،علَّها تخفف عنهم الوطأة وثقل الحدث الذي أصابهم ، كما يتجلى أخيراً دورها البارز في الجهود المضنية التي بذلتها في سبيل نجاة قومها وتجاوزهم مراحل الاخطار المحدقة بهم من كل صوب، لذا نجحت إلى درجة ما في اطلاق التحذيرات والإنذارات الكفيلة بتوعيتهم واتخاذهم الحيطة والحذر، والابتعاد قدر الامكان عن مصادر الخطر ومهاوي الردى ومواطن الهلكة ، لذا لم يكن يهدأ لها بال ، أو

يغمض لها جفن أو يسكن لها قرار حتى رأت رايات الأمن والاستقرار تخفق فوق رؤوسهم وترفرف على ربوعهم، وحينها فارقت الحياة ونامت وهي قريرة العين.

الخاتمة

وبعد الفراغ من كتابة هذا البحث خلصت الدراسة لبعض النتائج التي يمكن اجمالها بما يأتي:

- تعد طريفة الكاهنة من ابرز الشخصيات العربية اليمنية القحطانية الحميرية، التي نالت مكانة مرموقة أهلتها لتكون زوجة لملك قومها عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء، مما اكسبها شهرة واسعة ومكانة اجتماعية سامية في قومها قبل الاسلام، وقد تمتعت بسمات جليلة وخلال حميدة وصفات عديدة، مكنتها من كسب ثقة قومها، لذا كانوا يفزعون إليها في ملماتهم، ويستشيرونها في أمورهم، ولا يصدرون إلا عن رأيها، مما اكسبها مكانة ونفوذاً واسعاً مكنها من تسنم الصدارة والريادة فيهم منذ القدم.
- يعد الازد من ابرز القبائل العربية اليمنية القحطانية التي تمتعت بنفوذ واسع، ولها امتدادات طويلة واسعة مكنتها من الانتشار في انحاء البلاد العربية، وأقامت الممالك والدول الكبرى في بلاد العراق والشام قبل الاسلام.
- يعد سدّ مأرب من أضخم المشاريع الهندسية في عالم الريّ والزراعة، والذي شيده السبئيون في أرض مأرب حتى نال شهرة واسعة وصار مفخرة للعرب منذ القدم، لذا عدّ احدى عجائب العالم القديم ، فقام بمهمته في صدّ السيول وتوفير مياه الريّ طيلة قرون عديدة، تعرض خلالها إلى الخراب والتصدع والترميم مرات عديدة، بيد ان انهياره اثر سيل العرم كان فاجعة كبرى وكارثة عظيمة حلتّ بأرض اليمن، مما تسببت في تفرقهم وتمزقهم وهجرتهم إلى مختلف بلاد العرب.
- لعبت طريفة الكاهنة دوراً فاعلاً ومؤثراً في قيادة قومها وتوجيههم نحو طريق السلامة والمجد ، ولعل دورها المميز يتضح في قراءتها للمستقبل والتنبؤ بانهيار سدّ مأرب قبل وقوعه، وتداركها لقومها وتجنيبهم كارثة محققة، كادت تؤدي بهلاكهم وفنائهم، كما ان قيادتها لقومها واختياراتها الصائبة في توجيههم خلال هجرتهم، وارتيادها للاماكن الصالحة للاستقرار تعد من ابرز هذه الادوار الريادية لها، لذا قيل انها الآلهة الأم التي وجهت الهجرات القحطانية وجهتها السليمة منذ القدم.

- تعد شبه الجزيرة العربية المصدر الاول لهجرة القبائل العربية عبر العصور والحقب التاريخية الطويلة، مما أسهم في تزويد مناطق الهلال الخصيب وبلاد الرافدين وشرق الجزيرة وغربها بمجموعات وطاقات ضخمة من هذه القبائل العربية الاصيلة التي كان لها وزنها وثقلها الاقتصادي والسياسي فيها منذ القدم.

الهوامش ومصادر البحث

(١) ابن هشام، عبدالملك بن هاشم الحميري، (ت ٢١٣ه) التيجان في ملوك حمير (مركز الدراسات والابحاث اليمنية – صنعاء – ١٣٤٧هـ): ص٢٧٥؛ الصحاري، سلمة بن مسلم العوتبي (ت ٥١١ه) الانساب، تح: محمد احسان الرف (ط٤ – دار المعرفة – بيروت –٢٠٠٦م): ٢/ ٦٩٠؛ السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٥٨١ه) الروض الأنف في السيرة النبوية ، تح: عمر عبدالسلام (دار احياء التراث العربي – بيروت –٢٠٠٠م): ١/ ٦٨.

(٢) ابن الكلبي، هشام بن محمد ابن السائب (ت ٢٠٤ه) نسب معد واليمن الكبير، تح: ناجي حسن (عالم الكتب – بيروت –١٩٨٨م): ٢/ ٥٠٩–٥١٠؛ الهمداني، الحسن بن احمد (ت ٣٣٤ه) الأكليل من اخبار اليمن وانساب حمير، تح: محب الدين الخطيب (دار المناهل – بيروت –١٩٨٧م): ١٠/ ٩٨ وما بعدها؛ ابن نما الحلي، هبة الله بن محمد (ت ٦٠٠ه) المناقب المزيدية في اخبار الملوك الاسدية، تح: محمد خريسات وصالح درادكة (مكتبة الرسالة الحديثة – عمان –١٩٨٤م): ص٨٩.

(٣) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧ه) المسالك والممالك (دار الغرب الاسلامي – بيروت –١٩٩٢م): ١/ ١٦٦؛ الصحاري، الأنساب: ٢/ ٦٩٠.

(٤) ابن حزم الندلسي ، علي بن احمد الظاهري (ت ٤٥٦ه) جمهرة انساب العرب (دار الكتب العلمية- بيروت –١٩٨٣م): ص٤٠٦؛ ابن ناصر الدين الدمشقي، محمد بن عبدالله (ت ٨٤٢ه) توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة وانسابهم وألقابهم، تح: محمد نعيم العرقسوسي (مؤسسة الرسالة – بيروت –١٩٩٣م): ٧/ ٤٦.

(٥) الاصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٤٦٠ه) تاريخ سني ملوك الارض والانبياء (دار ومكتبة الحياة- بيروت –١٩٦١م): ص٩٠.

(٦) مزيقياء: لقب له وسمي بذلك لأن الازد تمزقت على عهده كل ممزق بعد حادثة سيل العرم، وقيل: بل لأنه كان يمزق كل يوم حلتين لئلا تلبس بعده، ابن الكلبي، جمهرة النسب، تح: ناجي حسن (دار عالم الكتب – بيروت –١٩٨٦م): ٢/ ٦١٦.

(٧) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٥؛ ابن نما الحلي، المناقب : ص٥٩.

(٨) ابن الكلبي، جمهرة النسب: ٢/ ٦١٧؛ الصحاري، الأنساب: ٢/ ٥٢١؛ السمهودي، علي بن عبدالله (ت ٩١١ه) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (دار الكتب العلمية-بيروت- ١٤١٩ه): ١/ ١٣٣-١٣٤.

(٩) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٤.

(١٠) ابن الكلبي، نسب معد: ١/ ٤٣٣؛ ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤ه) كتاب النسب، تح: مريم محمد (دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت- ١٩٨٩م): ص٢٦٨.

(١١) الانصاري، حسان بن ثابت، الديوان، تح: عبد مهنا (ط٢-دار الكتب العلمية-بيروت- ١٩٩٤م): ص١٨٤.

(١٢) ابن هشام، التيجان: ص٢٩١، ٢٩٢؛ ابن عساكر، علي بن الحسن(ت ٥٧١هـ) تاريخ دمشق، تح: عمرو العمري (دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت- ١٩٩٨م): ٧/ ٢١١؛ السهيلي، الروض الانف: ١/ ٦٨؛ ابن خلكان، احمد محمد (ت ٦٨١هـ) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تح: احسان عباس (دار صادر-بيروت- ١٩٠٠م): ٢/ ٢٣١؛ الدميري، محمد بن موسى(ت ٨٠٨هـ) حياة الحيوان

الكبرى (ط٢-دار الكتب العلمية-بيروت- ١٤٢٤هـ): ٢/ ٧٣.

(١٣) الجُحفة: قرية كبيرة مشهورة قرب رابغ على طريق مكة، تبعد عنها أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام، وسميت بالحجفة لا جتحاف السيل لأهلها وحمله لهم في بعض الاعوام، الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ) معجم البلدان (ط٢-دار صادر-بيروت-١٩٩٥م): ٢/ ١١١.

(١٤) ابن هشام، التيجان: ص٢٩٢؛ السهيلي، الروض الانف : ١/ ٦٨؛ العصامي، عبدالملك بن حسين الملكي(ت ١١١١هـ) سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي، تح: عادل احمد وعلي محمد معوض (دار الكتب العلمية-بيروت- ١٩٩٨): ١/ ٣٠٢.

(١٥) الأزهري، محمد بن احمد(ت ٣٧٠هـ) تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب (دار احياء التراث العربي-بيروت- ٢٠٠١م): ٦/ ١٨.

(١٦) الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ) التعريفات، تح: لجنة من العلماء (دار الكتب العلمية-بيروت- ١٩٨٣م): ص١٨٣؛ المناوي، محمد بن عبدالرؤوف (ت ١٠٣١هـ) التوقيف على مهمات التعاريف، تح: محمد رضوان الداية (دار الفكر المعاصر-بيروت-١٤١٠هـ): ص٩٧.

(١٧) المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: اسعد داغر (دار الهجرة-قم- ١٤٠٩هـ): ٢/ ١٥٤؛ القنوجي، محمد صديق خان ، ابجد العلوم (دار ابن حزم-بيروت- ٢٠٠٢م): ص٤٨٧.

(١٨) ابن الكلبي، الاصنام، تح: احمد زكي باشا (ط٤-دار الكتب العلمية المصرية-القاهرة- ٢٠٠٠م): ص٢٨؛ فهد، توفيق، الكهانة العربية قبل الاسلام، ترجمة: حسن عودة (شركة قدس للنشر والتوزيع-بيروت- ١٩٨٧م): ص٩٣-٩٤.

(١٩) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٥٢؛ الأصفهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦ه)،الاغاني (دار احياء التراث العربي-بيروت-١٤١٥هـ): ٩/ ٥٩؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف (ت ٦٥٤هـ) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تح: محمد بركات (دار الرسالة العلمية-دمشق- ٢٠١٣م): ٢/ ٥٩٣؛ الجندي، علي، في تاريخ الادب الجاهلي (دار التراث-القاهرة- ١٩٩١م): ص٢٦٩.

(٢٠) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر- تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة (ط٢-دار الفكر-بيروت- ١٩٨٨م): ١/ ١٣٥؛ الابشيهي، محمد بن احمد (ت ٨٥٢هـ) المستطرف في كل فن مستظرف، تح: مفيد محمد قميحة (ط٢-دار الكتب العلمية-بيروت- ١٩٨٦م): ٢/ ١٨٠.

(٢١) الأوسي، أحيحة بن الجلاح، الديوان، تح: حسن محمد باجودة (شركة مكة للطباعة والنشر-الرياض-د/ ت): ص٧٤.

(٢٢) الاصفهاني، الاغاني: ٩/ ٥٩-٦٠.

(٢٣) ابن حبيب، محمد بن حبيب السكري (ت ٢٤٥هـ) المنمق في اخبار قريش، تح: خورشيد احمد فاروق (دار عالم الكتب-بيروت-١٩٨٥م): ص٩٤-٩٥.

(٢٤) الجاحظ، عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ) البيان والتبين، تح: فوزي عطوي (دار صعب-بيروت- ١٩٦٨م): ص١٨٩.

(٢٥) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٤٩.

(٢٦) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٥٤؛ القالي، اسماعيل بن القاسم(ت ٣٥٦هـ) الأمالي، تح: محمد عبدالجواد (ط٢-دار الكتب المصرية-القاهرة- ١٩٢٦م): ١/ ١٣٤.

(٢٧) النويري، احمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ) نهاية الارب في فنون الادب (دار الكتب والوثائق القومية-القاهرة- ١٤٢٣هـ):

٣/ ١٣٢.

(٢٨) ابن سلمة، المفضل بن سلمة بن عاصم(ت ٢٩٠هـ) الفاخر، تح: عبدالعليم الطحاوي (دار احياء الكتب العربية-بيروت-١٣٨٠هـ): ص١٥٦.

(٢٩) القالي، الامالي: ١/ ١٢٦.

(٣٠) النويري، نهاية الارب : ١٦/ ١٥٨.

(٣١) المرزوقي، احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ) الأزمنة والأمكنة (دار الكتب العلمية-بيروت- ١٤١٧هـ): ص٤١٠.

(٣٢) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦٧.

(٣٣) الصحاري، الانساب: ٢/ ٥١٥؛ الحازمي، محمد بن موسى (ت ٥٨٤هـ) عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب ، تح: عبدالله كنون (الطابع الاميرية-القاهرة- ١٩٧٣م): ص١١.

(٣٤) الآمدي، الحسن بن بشر(ت ٣٧٠ه) المؤتلف والمختلف في اسماء الرجال وألقابهم وانسابهم، تح: ف. كرنكو (دار الجيل-بيروت-١٩٩١م): ص١٧١.

(٣٥) السجستاني، سهل بن محمد (ت ٢٥٥هـ) المذكر والمؤنث، تح: حاتم صالح الضامن (دار الفكر المعاصر-بيروت- ١٩٩٧م): ص٢٤٢؛ المبرد، محمد بن يزيد(ت ٢٨٥هـ) الفاضل (ط٣-دار الكتب المصرية-القاهرة- ١٤٢١هـ): ص١١٣؛ السيوطي، عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ) المزهر في علوم اللغة وانواعها، تح: فؤاد علي منصور (دار الكتب العلمية-بيروت- ١٩٩٨م): ٢/ ٤١٠.

(٣٦) ابن الكلبي، جمهرة النسب: ٢/ ٦١٥؛ الصحاري، الانساب: ٢/ ٥١٤.

(٣٧) الوزير المغربي، الحسين بن علي(ت ٤٨١هـ) الايناس في علم الانساب، تح: حمد الجاسر (دار اليمامة-الرياض- ١٩٨٠م): ص٥٧.

(٣٨) ابن حزم الظاهري ، جمهرة انساب العرب: ص٣٣٠.

(٣٩) ابن الكلبي، جمهرة النسب: ٢/ ٦١٥؛ ابن سلام، كتاب النسب: ص٢٦٧؛ ابن دريد، محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) الاشتقاق، تح: عبدالسلام محمد هارون (دار الجيل-بيروت- ١٩٩١م): ص٤٣٥؛ الوزير المغربي، الإيناس : ص٥٧؛ الصحاري، الانساب: ٢/ ٥١٤.

(٤٠) الديوان: ص١٧٦.

(٤١) ابن الكلبي، جمهرة النسب: ٢/ ٦١٥-٦١٦.

(٤٢) ابن سلام، كتاب النسب: ص٢٦٨؛ ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله القرطبي (ت ٤٦٢هـ) الانباه على قبائل الرواه، تح: ابراهيم الابياري (دار الكتب العربي-بيروت- ١٩٨٥م): ص١٠١؛ البتي، احمد بن عبدالوالي(ت ٤٨٨هـ) تذكرة الالباب بأحوال الانساب، تح: علي عمر (مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة- ٢٠٠٦م): ص٣٥-٤١؛ ابن رسول الغساني، محمد بن يوسف(ت ٦٩٦ه) طرفة الاصحاب في معرفة الانساب، تح: ك.و. سترشين (دار صادر-بيروت- ١٩٩٢م) ص٦-٧.

(٤٣) الحازمي، عجالة المبتدي: ص١١؛ الحموي، معجم البلدان: ٣/ ٣٦٩.

(٤٤) قيس بن عمرو بن مالك، الديوان، تح: صالح البكاري وآخرون (مؤسسة المواهب-بيروت- ١٩٩٩م): ص٦٤.

(٤٥) ينظر: ص٦١٥ وما بعدها.

(٤٦) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦١؛ ابن الاثير، علي بن أبي الكرم بن محمد (ت ٦٣٠ه) الكامل في التاريخ (دار صادر-بيروت-١٩٦٥م): ١/ ٦٥٥.

(٤٧) ابن هشام، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وآخرون (ط٢-مطبعة مصطفى بابي الحلبي-القاهرة- ١٩٥٥م): ١/ ١٣؛ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر (ت ٢٧٩هـ) تاريخ، تح: عبدالأمير مهنا (شركة الاعلمي للمطبوعات-بيروت- ٢٠١٠م): ١/ ٢٤٩ وما بعدها؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى: ١/ ٤١٩.

(٤٨) زيدان، جرجي، تاريخ العرب قبل الاسلام (ط٢-مطبعة الهلال-القاهرة- ١٩٢٢م): ١/ ١٥٠.

(٤٩) الهمداني، صفة جزيرة العرب (مطبعة بريل-ليدن-١٩٨٤م): ص١٠١.

(٥٠) الهمداني، الأكليل: ٨/ ٢٩.

(٥١) فخري، احمد، دراسات في تاريخ الشرق القديم (ط٢-مكتبة الانجلو المصرية-القاهرة- ١٩٦٣م): ص١٧٥؛ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (ط٤-دار الساقي-عمان- ٢٠٠١م): ١٣/ ٢٠٩، ٢١٢.

(٥٢) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦١-١٦٣.

(٥٣) الحميري، نشوان بن سعيد (ت٥٧٣هـ) خلاصة السير الجامعة لملوك حمير واقبال التبابعة، تح: علي اسماعيل المؤيد (ط٢-دار العودة-بيروت- ١٩٧٨م): ص١٢؛ السهيلي، الروض الأنف: ١/ ٥٨؛ الحموي، معجم البلدان: ٥/ ٣٤؛ ابو الفداء، اسماعيل بن علي(ت ٧٣٢هـ) المختصر في اخبار البشر (المطبعة الحسينية المصرية-القاهرة- -د/ت): ١/ ٦٦؛ ابن كثير، اسماعيل بن عمر(ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تح: عبدالله عبدالمحسن (دار هجر-بيروت- ١٩٩٧): ٣/ ١٠٧؛ ابن خلدون، تاريخ: ١/ ٤٣١؛ الخزرجي، علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تح: محمد بسيوني عسل (دار الآدب-بيروت- ١٩٨٣م): ١/ ٢١؛ الفرح، محمد حسين، اليمن في تاريخ ابن خلدون (وزارة الثقافة والسياحة-صنعاء- ٢٠٠٤م): ص٤٠.

(٥٤) الهمداني، الأكليل: ٨/ ٤٥؛ ابن خلدون، تاريخ : ٢/ ٥٧؛ الفرح، اليمن : ص٤٠.

(٥٥) الاعشى، ميمون بن قيس، الديوان، تح: عبدالرحمن المصطاوي (دار المعرفة-بيروت- ٢٠٠٥م): ص١٩٠-١٩١.

(٥٦) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٣-٢٧٤؛ الفرح، اليمن : ص٤٠.

(٥٧) الهمداني، الاكليل: ٨/ ٤٤-٤٥؛ المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦١-١٦٢.

(٥٨) الاصفهاني، تاريخ سني الملوك: ص١٠٠؛ ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبدالقادر عطا (دار الكتب العلمية-بيروت- ١٩٩٢م): ٢/ ١٦١؛ ناجي، خليل يحيى، العرب قبل الاسلام (دار المعارف-القاهرة-١٩٨٦م): ص٩٥-٩٦.

(٥٩) هومل، فرتز ، وآخرون، التاريخ العربي القديم، ترجمة: فؤاد حسنين (مكتبة النهضة المصرية-القاهرة- ١٩٥٨م): ص٦٩؛ غويدي، اغناطيوس، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الاسلام، ترجمة: ابراهيم السامرائي (دار الحداثة للطباعة-بيروت-١٩٨٦م): ص٨٦؛ شيبمان، كلاوس، تاريخ الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية، ترجمة: فاروق اسماعيل (مركز الدراسات والبحوث اليمني-صنعاء- ٢٠٠٢م): ص٥٢-٥٣؛ لوندين، أ.ج، دولة مكربي سبأ، ترجمة: قائد محمد طربوش (دار جامعة عدن

للطباعة-عدن- ٢٠٠٤م): ص١٤٠.

(٦٠) زيدان، العرب قبل الاسلام: ١/ ١٥٨؛ فخري، دراسات : ص١٨٣؛ صالح، عبدالعزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة (مكتبة الانجلو المصرية-القاهرة- ٢٠١٠م): ص٤٩.

(٦١) بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم (المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت- ١٩٨٥م): ص١٨٨-١٨٩.

(٦٢) الجرو، اسمهان سعيد، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم (دار الكتاب الحديث-حضرموت- ٢٠٠٣م): ص٨-٩.

(٦٣) ابن خلدون، تاريخ: ١/ ٤٣١.

(٦٤) زيدان، العرب قبل الاسلام: ١/ ١٥٢.

(٦٥) هومل، التاريخ العربي: ص٨٦؛ فخري، دراسات : ص١٨٣؛ عبدالله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وأثاره (ط٢-دار الفكر المعاصر-بيروت- ١٩٩٠م): ص٢٠١، ٢٠٧.

(٦٦) الفرح، الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير (دار الكتب- صنعاء- ٢٠٠٤م): ٢/ ١٩٧.

(٦٧) شرف الدين، احمد حسين، اليمن عبر التاريخ (ط٢-مطبعة السنة المحمدية-القاهرة- ١٩٦٤م): ص١٢٣.

(٦٨) زيدان، العرب قبل الاسلام: ١/ ١٥٨؛ الأكوع، محمد علي، اليمن الخضراء مهد الحضارة (ط٢-مكتبة الجيل الجديد-بيروت- ١٩٨٢م): ص٢٩٧-٢٩٨؛ شرف الدين، اليمن عبر التاريخ : ص١٢٣

(٦٩) علي، المفصل: ١٣/ ٢١٠؛ شرف الدين، اليمن عبر التاريخ : ص١٢٣؛ عنان، زيد علي، تاريخ حضارة اليمن القديم (المطبعة السلفية ومكتبتها-القاهرة- ١٣٩٦هـ): ص٣٢١.

(٧٠) الشماحي، عبدالله عبدالوهاب، اليمن الانسان والحضارة (ط٣-منشورات المدينة-بيروت- ١٩٨٥م): ص٦٩، ٧٥.

(٧١) هومل، التاريخ العربي القديم: ص١١٥؛ عنان، تاريخ حضارة اليمن القديم: ص٢٩٨؛ السقاف، حمود محمد جعفر، اضواء جديدة على تاريخ تبابعة وملوك اليمن (مركز عبادي للدراسات والنشر-صنعاء- ٢٠٠٤م): ص١٩، ٢١.

(٧٢) فخري، دراسات : ص١٨٧؛ الأكوع، اليمن الخضراء: ص٣٠١-٣٠٣؛ بافقيه، تاريخ اليمن القديم: ص١٨٩؛ علي، المفصل: ٦/ ١٧٥.

(٧٣) صندوق أبو ظبي للأنماء الاقتصادي العربي، التقرير السنوي لعام ١٩٨٥و١٩٨٦م (دار الغدير للطباعة والنشر-دبي- ١٩٨٦م): ص٢٦.

(٧٤) هومل، التاريخ العربي القديم : ص٨٢؛ باوبر، ج.م، لوندين، أ، تاريخ اليمن القديم-جنوب الجزيرة العربية في اقدم العصور، ترجمة: اسامة احمد (دار الهمداني للطباعة والنشر-عدن- ١٩٨٤م): ص٢٢.

(٧٥) عبدالله، يوسف محمد، مكتشفات البعثة الألمانية (مجلة الوطن-العدد (٥)-يونيو-١٩٨٨م): ص٥؛ صحيفة الثورة، (تقرير نشاطات معهد الاثار الالماني – عدد(٥)-١٩٨٨): ص١؛ الفرح، تاريخ صنعاء الحضاري القديم (وزارة الثقافة والسياحة-صنعاء- ٢٠٠٤م): ص٢٤.

(٧٦) شيبان، تاريخ الممالك: ص٦٦.

(٧٧) ابن خلدون، تاريخ: ٢/ ٥٧.

(٧٨) زيدان، العرب قبل الاسلام: ١/ ١١٧؛ شرف الدين، اليمن عبر التاريخ: ص٦٧؛١٢٢.

(٧٩) الهمداني، الاكليل: ٨/ ٤٣، ٧٥؛ الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تح: حسين العمري وآخرون (دار الفكر المعاصر-بيروت- ١٩٩٩م): ٦/ ٣٧٢٥، ٩/ ٦٢٦٦؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه أمين ومنير بعلبكي (ط٥-دار العلم للملايين-بيروت- ١٩٦٨م): ص١٦؛ العلي، صالح احمد، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية (شركة المطبوعات للتوزيع-بيروت- ٢٠٠٠م): ص٢٣، ٢٥.

(٨٠) البكرى، المسالك والممالك: ١/ ١٦٥.

(٨١) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٤؛ شرف الدين، اليمن عبر التاريخ : ص١٢٢.

(٨٢) زيدان، العرب قبل الاسلام: ١/ ١٥٥.

(٨٣) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦٢؛ البكري، المسالك والممالك: ١/ ١٦٥.

(٨٤) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٤؛ فخري، دراسات : ص١٧٥، ١٨٠-١٨١.

(٨٥) عبدالله، يوسف، سدّ مأرب والقرار التاريخي بإعادة بنائه (مجلة الاكليل-العدد(١)-السنة الثالثة-صنعاء-اليمن-١٩٨٥م): ص٢٨-٢٩.

(٨٦) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦١؛ عبدالله، سدّ مأرب: ص٢٨-٢٩.

(٨٧) العرم: يطلق في اللغة على معانٍ متعددة منها: السكر والمنسأة التي تسد المياه وتقطعها، كما يطلق على السدّ، وعلى السيل، وعلى الجرذ الذكر. الحموي، معجم البلدان: ٤/ ١١٠؛ ابن منظور، محمد بن مكرم(ت ٧١١هـ) لسان العرب (ط٣-دار صادر-بيروت-١٤١٤هـ): ٢/ ٣٩٦.

(٨٨) الهمداني، الاكليل: ٨/ ٤٤؛ البكري، الممالك والمسالك: ١/ ١٦٥؛ الحموي، معجم البلدان: ٥/ ٣٥؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى: ١/ ٤١٧؛ علي، المفصل: ١٣/ ٢١١-٢١٢.

(٨٩) الأكوع، اليمن الخضراء: ص٢٩٥.

(٩٠) ابن هشام، التيجان: ص٢٤٧؛ المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦٢.

(٩١) الدميري، حياة الحيوان الكبرى: ١/ ٤١٧؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية: ١/ ٢٢.

(٩٢) زيدان، العرب قبل الاسلام: ١/ ١٥٦.

(٩٣) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦٢؛ البكري، المسالك والممالك: ١/ ١٦٥.

(٩٤) علي، المفصل : ٣/ ٢٨٤؛ شرف الدين، اليمن عبر التاريخ : ص١٢٦-١٢٧.

(٩٥) سورة سبأ/ الآية (١٥)

(٩٦) قيس بن عبدالله، الديوان، تح: واضح الصمد (دار صادر-بيروت- ١٩٩٨م): ص١٤٩.

(٩٧) علي، المفصل : ١٣/ ٢٠٩.

(٩٨) عبدالله، سدّ مأرب: ص١٩-٢٠.

(٩٩) الهمداني، الاكليل: ٨/ ٤٣؛ عبدالله، سدّ مأرب: ص٢٨، ٣١-٣٣؛ الفرح، الحضارة اليمنية العربية ومملكتها العظمى سبأ (مجلة

دراسات يمنية-العدد(٢١)-مطبعة الكاتب العربي-دمشق-١٩٨٥م): ص١٦٣.

(١٠٠) الازرقي، محمد بن عبدالله (ت ٢٥٠هـ) أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار، تح: رشدي الصالح ملحس (دار الاندلس للنشر- بيروت- ١٩٩٧): ١/ ٩٢.

(١٠١) الزركلي، خيرالدين بن محمود(ت ١٣٩٦هـ) الاعلام، (ط١٥-دار العلم للملايين-بيروت- ٢٠٠٢م): ٣/ ٢٢٦؛ كحالة، عمر رضا، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام (مؤسسة الرسالة-بيروت- د/ ت): ٢/ ٣٦٧.

(١٠٢) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٥؛ المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦٧؛ علي ، المفصل :١٢/ ٣٤٦، ١٣/ ٢٠٩.

(١٠٣) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٥؛ المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦٧.

(١٠٤) الخزرجي، العقود اللؤلؤية: ١/ ٢٢ وما بعدها.

(١٠٥) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٦؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية : ١/ ٢٣.

(١٠٦) المسعودي: مروج الذهب: ٢/ ١٦٧-١٦٨.

(١٠٧) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٦-٢٧٧؛ السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٣٤-١٣٥.

(١٠٨) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٧.

(١٠٩) المصدر نفسه.

(١١٠) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦٩.

(١١١) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٨.

(١١٢) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦٩-١٧٠.

(١١٣) الخزرجي، العقود اللؤلؤية: ١/ ٢٣-٢٤.

(١١٤) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٩-٢٨٠.

(١١٥) الازرقي، اخبار مكة: ١/ ٩٢؛ اليعقوبي، تاريخ: ١/ ٢٥١.

(١١٦) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٦٣.

(١١٧) ابن هشام، التيجان: ص٢٧٣-٢٧٤؛ ابن خلدون، تاريخ: ٢/ ٦٦.

(١١٨) الاصفهاني، تاريخ سني الملوك: ١/ ٩٠.

(١١٩) شرف الدين، اليمن عبر التاريخ: ص١٢٧؛ الشماحي، اليمن الانسان والحضارة: ص٦٥، ٦٩.

(١٢٠) سورة سبأ/ الآية (١٥-١٧).

(١٢١) الديوان: ص١٩٠-١٩١.

(١٢٢) ابن هشام، التيجان: ص٢٨٦.

(١٢٣) المصدر نفسه: ص٢٨٧.

(١٢٤) الازرقي، اخبار مكة: ١/ ٩٤.

(١٢٥) الاصفهاني، الاغاني: ٢٢/ ٣٤٥.

(١٢٦) الازرقي، اخبار مكة: ١/ ٩٤.

(١٢٧) الديوان: ص١٣١.

(١٢٨) ابن هشام، التيجان: ص٢٨٨.

(١٢٩) الاصفهاني، الاغاني: ٢٢/ ٣٤٥.

(١٣٠) ابن هشام، التيجان: ص٢٨٩.

(١٣١) الازرقي، اخبار مكة : ١/ ٩٥.

(١٣٢) الاصفهاني، الأغاني: ٢٢/ ٣٤٥.

(١٣٣) الازرقي، اخبار مكة:١/ ٩٢-١٩٤.

(١٣٤) ابن هشام، التيجان: ص٢٩١-٢٩٢.

(١٣٥) الميداني، احمد بن محمد (ت ٥١٨هـ) مجمع الأمثال ، تح: محمد محي الدين عبدالحميد (دار المعرفة-بيروت- د/ ت): ١/ ٢٧٥.